التوحيد
مجلة . إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٤٣ - السنة السابعة والثلاثون - ذو القعدة ١٤٢٩ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
جمال البنا
يفتري الكذب
على الأئمة الأعلام
التآمر الشيعي على الإسلام والمسلمين
وجوب لزوم الجماعة عند حلول الفتن
السياسة الشرعية بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين
عندما يتسلط الشيعة ويهيمنون

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٤٣ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦



الانفلات التربوي والأخلاقي

لكي يقوم مجموعات من الشباب بمطاردة مجموعة أخرى من الفتيات في الشوارع ويلتفون في حلقات حولهن بقصد الاعتداء عليهن، فإن لهذا الحدث أبعادًا خطيرة وشرورًا مستطيرة تدل على أن فاعلي ذلك يريدون أن يعيشوا شريعة الغاب التي يتسافد (يتناكح) فيها الحُمُر والوحوش بلا ضابط ولا نظام!!

وإن دل هذا الذي حدث على شيء فإنما يدل على أن:

١- البعد عن شريعة الله تعالى في الاستتار والحشمة والحياء والعفة يأتي من ورائه كل رذيلة، لأنه لا يلهث أمثال هؤلاء الذئاب إلا خلف من خلعت ثياب الحياء والحشمة، والطيور على أشكالها تقع، والخبيثات للخبيثين، والطيبات للطيبين، ولذلك حفظ الله المحجبات المحتشمات من ذلك الأذى، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

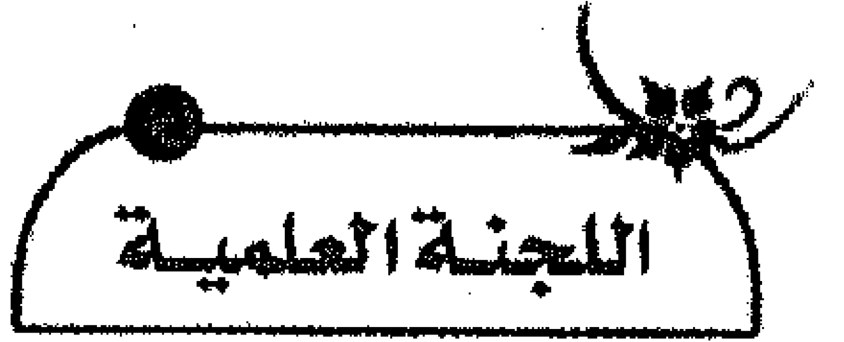
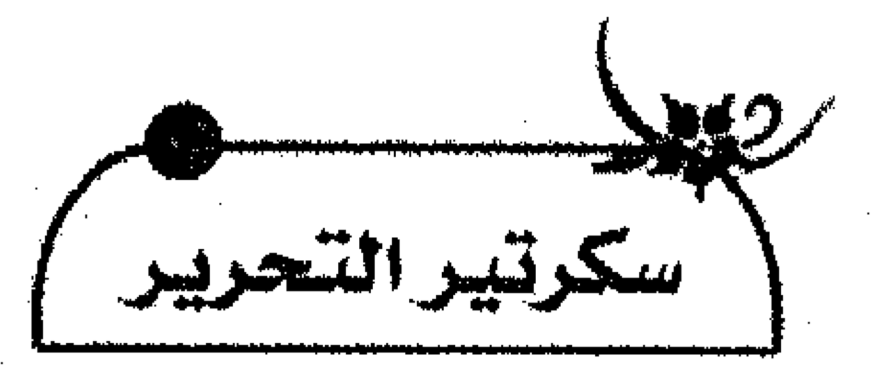
٢- هذه لطمة على وجوه الذين دعوا ويدْعون إلى تحرير المرأة وخروجها من بيتها ومزاحمتها للرجال في كل الميادين.

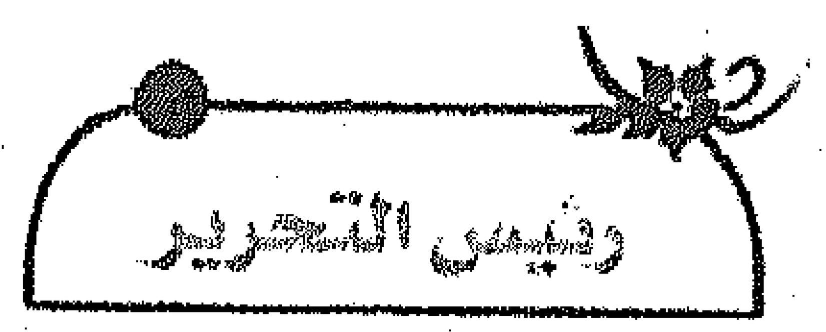
٣- ثم هي صفعة أيضًا للذين لم يجدوا شيئًا يهاجمونه إلا حجاب المرأة المسلمة.

وتبقى المشكلة كامنة في أن دعاة التحرير، والمعقّدين من حجاب المرأة مهما تَلَقَّوْا من الصفعات على خدودهم فإنهم يديرون الخد الآخر.

التحرير

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

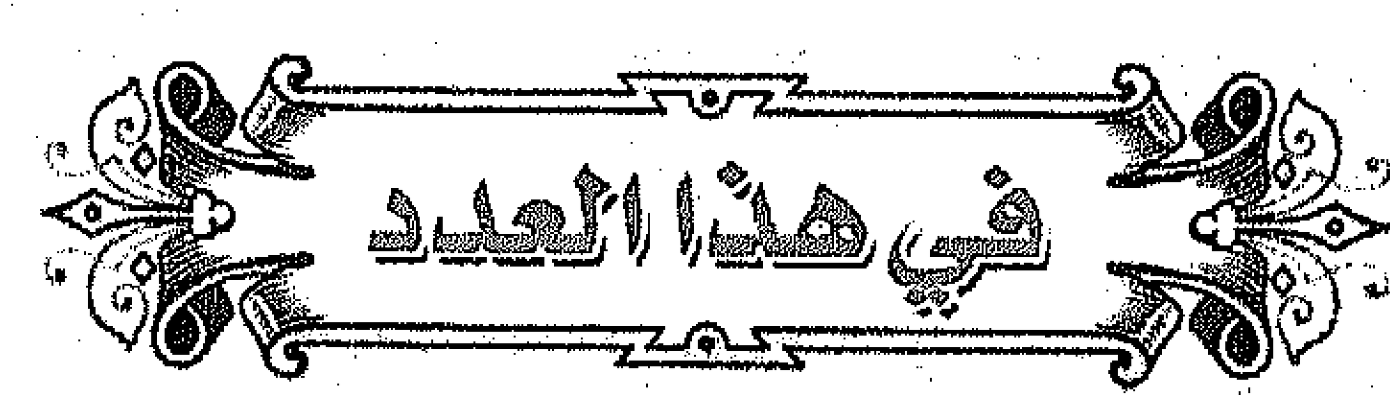


رئيس التحرير

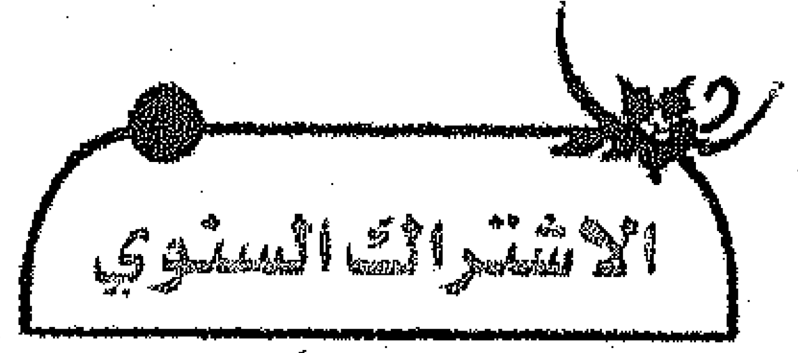
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط



في هذا العدد

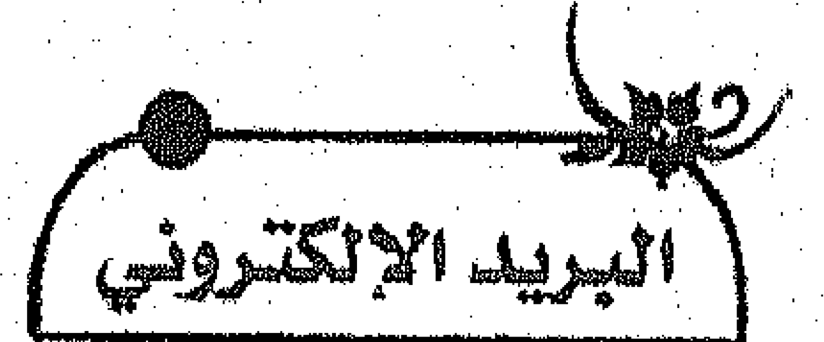


ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشاً ، السعودية ٦ريالات ، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠دولاراً أو ٧٥ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



البريد الإلكتروني

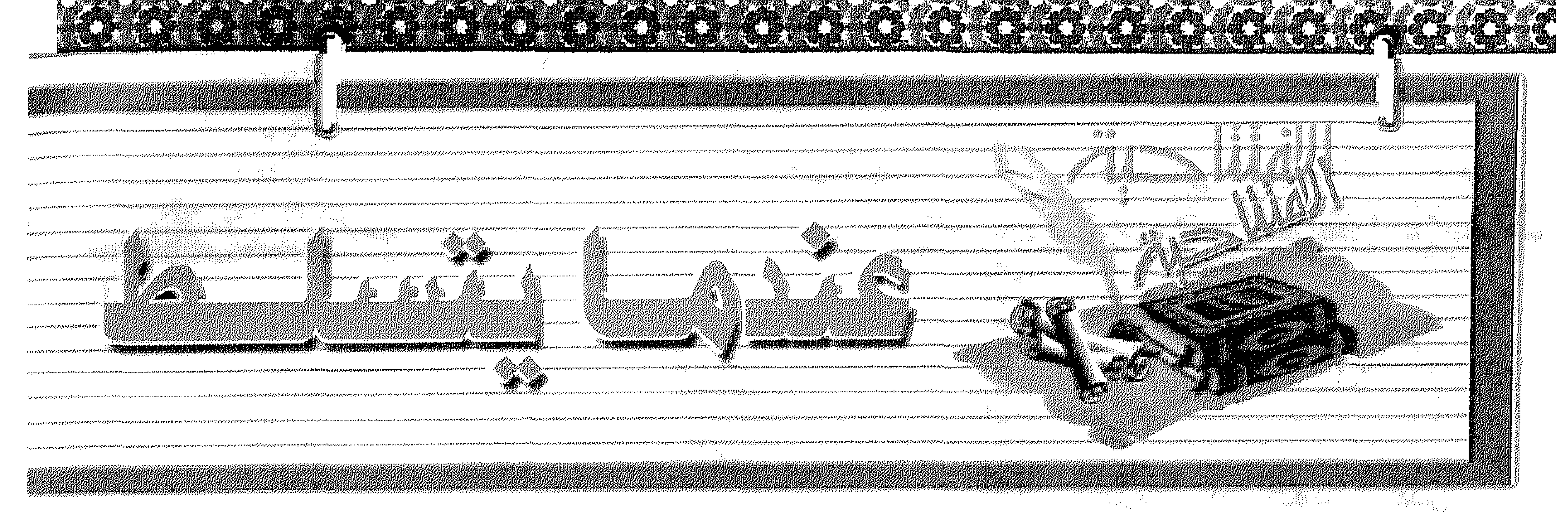
المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM



٦٦٠جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

٢٢٠دولاراً لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

م دار "الجمهورية" للصحافة



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين. وبعد:

فإن الله ابتلى هذه الأمة فجعل بأسها بينها شديدًا، وقدر عليها من الاختلاف والافتراق مثل ما كتب على الأمم قبلها؛ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا». رواهما مسلم.

وقال رسول الله ﷺ : «فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ». رواه الترمذي.

وإن أعظم بلاء وقع على هذه الأمة ما أحدثه الروافض من بدع وضلالات تتعلق بالإمامة وعصمة الأئمة والطعن على خير قرون الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ ، والغلو في آل بيت النبي ﷺ .

لقد قدر الله لهذه الأمة أن تبقى عزيزة قوية ما دام هؤلاء الروافض مقهورين، فإذا تسلط علينا هؤلاء الروافض كانت الطامة الكبرى التي تودي بهذه الأمة حين يكون للروافض دولة يتسلطون بها على مقادير هذه الأمة، وعادة ما تنشئ هذه الدولة حزبًا من الخارجين وقطاع الطريق ليعيث في الأرض فسادًا وينفذ مخططاتها لتفتيت وحدة المسلمين. ولكن الله تبارك وتعالى يقيض لهذه الأمة من يدفع عنها الفتنة ويرد كيد الظالمين إلى نحورهم ليحفظ هذه الأمة.

ولقد ظل هذا الدين عزيزًا طوال حقبة الخلافة الراشدة، ثم في خلافة بني أمية والطور الأول من خلافة بني العباس، حتى دب الضعف إلى الخلفاء وتسلط عليهم الأمراء والوزراء، وتمكن أهل البدع من الروافض والمعتزلة القدرية، وصدق رسول الله ﷺ إذ يَقُولُ: « لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً ». « كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

ومن أعظم الدول الرافضية بلاءً على أهل الإسلام دولة العبيديين الروافض في المغرب ومصر التي عم بلاؤها لمدة تقرب من ثلاثة قرون، وتحالفت مع القرامطة قطاع الطريق المحاربين لله ولرسوله الذين عم بلاؤهم حتى قتلوا



الحجيج في البلد الحرام واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة وعلقوه على بيت بالبحرين قرابة عشرين عاما.

«ودامت دولة الفاطميين ٢٦٠ سنة ,منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب ,ومائتان وثماني سنوات بمصر, وعدد خلفائها أربعة عشر خليفة ,أولهم عبيد الله المهدي ,وآخرهم العاضد الذي توفي بمصر يوم عاشوراء سنة ٥٦٧هـ ,وبموته انقرضت دولة الفاطميين من المشرق والمغرب. والملك لله وحده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

قال الذهبي -رحمه الله-: «ظهر في هذا الوقت الرفض ,وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والمغرب بالدولة العبيدية ,وبالعراق والجزيرة والعجم ببني بويه ,وكان الخليفة المطيع ضعيف الرتبة مع بني بويه وضعف بدنه ثم أصابه فالج ,وخرس فعزلوه وأقاموا ابنه الطائع لله ,وله السكة والخطبة ,وقليل من الأمور فكانت مملكة المعز أعظم وأمكن.

وقال ابن كثير: وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً ,وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم, وأنجس الملوك سيرة ,وأخبثهم سريرة ,وظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ,وكثر أهل الفساد ,وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ,وكثرت بأرض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية ,وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكامله ,حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك والشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك ,وقتلوا من المسلمين خلقًا وأممًا لا يحصيهم إلا الله ,وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ,وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ,وأخذوامن أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف ,وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ,وحين زالت أيامهم وانْتَقَضَ إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته.

وقال السيوطي ولم أورد أحدًا من الخلفاء العبيدين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور:

منها: أنهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد وكان أبوه يهوديا حدادا نشابة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: القداح جد عبيد الله الذي يسمي علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين، قال ابن خلكان: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر حتى إن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إنما سمعنا نسبا منكــــــرا	يتلى على المنبـر في الجامـع
إن كنت فيمـا تدعي صـادقًا	فاذكر أبًا بعد الأب السابـع
إن تُردْ تحقيـــقَ مـا قلتُـه	فانسب لنا نفسـك كالطائـع
أو لا دَعِ الأنساب مستـورة	وادخل بنا في النسب الواسـع
فإن أنساب بني هاشـــم	يقصر عنها طمـع الطامـع

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس كتابا سبه فيه وهجاه فكتب إليه الأموي: «أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك». فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب - يعني أنه دعي لا تعرف قبيلته - قال الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة - وقد سأله ابن طباطبا العلوي عن نسبهم - فجذب سيفه من الغمد وقال: هذا نسبي ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال: هذا حسبي.

ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ومنهم من أظهر سب الأنبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من

أمر بالسجود له والخير منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض.

وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرًا من أبيه زنديقًا ملعونًا أظهر سب الأنبياء وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شرا من التتر.

وقال أبو الحسن القابسي: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت فيا حبذا لو كان رافضيا فقط ولكنه زنديق.

وقال القاضي عياض: سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد - يعني خلفاء مصر - على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟ قال: يختار القتل ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان يمكن دخوله قبل أن يعرف أمرهم وأما بعد فقد وجب الفرار، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم.

وقال يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة.

وقال ابن خلكان: وقد كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة حتى إن العزيز صعد يوما المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب:

بالظلم والجور قـــد رضينا   وليس بالكفر والحمـــاقة
إن كنت أعطيت علم غيـب   بين لنـــا كاتب البطاقـة

وكتبت إليه امرأة قصة فيها: بالذي أعز اليهود بميشا والنصارى بابن نسطور وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري وكان ميشا اليهودي عاملا بالشام وابن نسطور النصراني بمصر

ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة فلا تصح إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد والصحيح المتقدم. اهـ [تاريخ الخلفاء ج ١ / ص ١٢].

تسلط البويهيين على الخليفة العباسي

وفي خلافة المستكفي تسلط أحمد بن بويه علي الخلافة العباسية وتلقب بمعز الدولة وكان رافضيًا خبيثًا أذل الخلفاء من بني العباس وقمع السنة ونصر البدعة.

لم يخف البويهيون تشيعهم، بل شجعوا أتباع المذهب الشيعي في بغداد للقيام بالأعمال الاستفزازية ضد أهل السنة، فكانت لا تمر سنة دون شغب واصطدامات تقع بين السنة والشيعة تذهب فيها الأرواح، والممتلكات وتحرق الأسواق، وجاء في حوادث ٣٥١هـ: وكتب الشيعة في بغداد بأمر معز الدولة على المساجد بلعن معاوية والخلفاء الثلاثة والخليفة العباسي لا يقدر على منع ذلك، وفي سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة وأن يخرج النساء منتشرات الشعور، مسودات الوجوه، يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي - رضي الله عنه - ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم، وهذا أول مانيح عليه وقد وصف ابن كثير ما يفعل الشيعة من تعدي لحدود الله في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فقال: فكانت الدبادب، تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويُذرُ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المسوح على الدكاكين ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة.

وأول إشارة إلى الفتن بين الشيعة وأهل السنة خلال العصر البويهي حصلت سنة ٣٣٨هـ / ٩٥١م وقد كان من نتيجتها أن نهبت الكرخ (٣)، وفي رمضان من سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م وقعت فتنة عظيمة بالكرخ بسبب المذهب (٤)، وفي السنة نفسها ظهر ببغداد رجل أدعى بأن أرواح الأنبياء والصديقين تنتقل إليه، وقد وجدت في داره كتباً تدينه بالزندقة فتم القبض عليه: فلما تحقق أنه هالك أدعى أنه شيعي ليحضر عند معز الدولة ابن بويه وقد كان معز الدولة ابن بويه يؤيد الرافضة، فلما اشتهر عنه ذلك، لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من معز

الدولة وأن تقوم عليه الشيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وحدث في سنة ٣٤١هـ أن ظفر الوزير المهلبي بقوم من التناسخية وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة رضي الله عنها، انتقلت إليها، وفيهم آخر يزعم أنه جبريل، فضربوا فتعذروا بالانتماء لأهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لتشيع كان فيهم، والمشهور عن بني بويه التشيع والرفض، وهكذا كان لمغالاة بني بويه في التشيع نتائج سيئة الأثر حيث عمت الفوضى والانحرافات العقدية ولم تعد الفوضى قاصرة على بغداد أو مدن العراق الأخرى، بل شملت بعض أنحاء الدولة العباسية الأخرى.

وفي سنة ٣٤٦ تجددت الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد بسبب سب الصحابة وكان من نتيجة ذلك أن قتل من الفريقين خلق كثير دون أن تتحرك السلطة لمعالجة الصراع وفي السنة التالية ٣٤٧هـ انتشرت ظاهرة سب وتكفير الصحابة في كثير من البلدان، واشتدت الفتنة الطائفية بين الرافضة والسنة ووقعت في جمادى الأولى سنة ٣٤٨هـ حرب شديدة بين أتباع مذاهب السلف من أهل بغداد والمتشيعة وقتل فيها جماعة واحترق من البلد كثير وفي السنة التي تلت، أي سنة ٣٤٩هـ وبسبب الفتنة الطائفية تعطلت صلاة الجمعة في جميع مساجد بغداد، وفي سنة ٣٥١هـ كتب العامة على مساجد بغداد لعن معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن أخرج العباس من الشورى ومن نفي أبا ذر الغفاري ومن منع دفن الحسن عند جده.

ولم يمنع معز الدولة ذلك وقد ثار أهل السنة من هذا التعريض المباشر بصحابة النبي ﷺ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول وأقدموا خلال ساعات الليل على إزالة الشعارات التي رفعها الرافضة، غير أن الأمير البويهي معز الدولة أصر على ضرورة إعادة تلك الشعارات وإبقائها مرفوعة رغم ما تشكل من تحد سافر لمشاعر عموم المسلمين من إتباع مذاهب السلف وأهل السنة، وقد نصحه وزيره المهلبي بالامتناع عن ذلك مداراة للرأي العام وبأن يكتب مكان ما محي: لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ، وصرحوا بلعنة معاوية فقط.

قال الذهبي: وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن وقتلوا وسبوا. وقال: فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البُويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى.

وقال عن عضد الدولة أبو شجاع فنّاخسرو:.. وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي بنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء، ونُقل أنه لما احتُضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

انتهاء التسلط الشيعي

ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد ونصروا مذهبها السنّي بعد أن أوشكت على الانهيار بين النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي (الفاطمي) في مصر والشام. فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تماماً وتصدوا للخلافة العبيدية (الفاطمية).

لقد استطاع طغرل بك الزعيم السلجوقي أن يسقط الدولة البويهية في عام ٤٤٧هـ في بغداد وأن يقضي على الفتن وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة، وقتل شيخ الروافض أبي عبدالله الجلاب لغلوه في الرفض.

ثم كان السقوط التام للدولة العبيدية علي يد صلاح الدين، رحمه الله.

وقد مدح علماء أهل السنة وفقهاؤهم وحكامهم هذا الفعل الجميل لصلاح الدين؛ ألا وهو القضاء على دولة العبيديين الرافضية الباطنية ,وأكثر الشعراء القصائد في مدح صلاح الدين فقال بعضهم:

أبدتم دولة الكفر من بني عبيـد	بمصر إن هذا هو الفضـــــل
زنادقة شيعية باطنية مجـوس	ومـا في الصالحين لهم أصـــل
يُسرون كفراً يظهـــرون تشيعًا	ليستـروا سابور عمهـم الجهـل

هكذا يكون حال الأمة المسلمة في زمن التخاذل والفرقة والغثائية، فكيف إذا تسلط أهل البدع والضلالات فقمعوا السنة، وحاربوا أهلها، واستعانوا بأهل الكفر والشرك؟

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظ على هذه الأمة دينها ووحدتها، وأن يردها إلى الحق ردًا جميلاً. والله من وراء القصد.

المراجـــع

- دولة السلاجقة للدكتور الصلابي.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
- البداية والنهاية لابن كثير.

الانهيار العالمي وانتقام رب العالمين ..



بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله غفار الذنوب علام الغيوب، مفرج الكروب، والصلاة والسلام على من سعدت ببعثته القلوب، محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله جلّت عظمته وتقدّست أسماؤه قد بعث صَفيَّهُ محمدًا ﷺ على فترة من الرسل، وأنْزَلَ عليه الكتاب والحكمة، ودعا إلى رَبِّه على بصيرة، فعلم الناس من القرآن، وعلموا من السنَّة، وفقهوا في دين الله تعالى، وما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حتى ترك أمته على المنهاج الواضح، والصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال ﷺ: «تركتم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك». (أخرجه أحمد وابن ماجه).

غضب الله تعالى على الظالمين

وهكذا تمر الأيام، وتصدق كلمة الله على القوم الظالمين، ومع بداية ما أسموه بـ «الأزمة العالمية» التي هزت عرش أمريكا واقتصادها، وهزت معها عرش الاقتصاد الغربي، بل اقتصاد العالم الذي يدور في فلك أمريكا ونظامها الرأسمالي الحر، لقد أفاء الله على بلادهم من الخيرات الطبيعية مع رغد في العيش، وسعة في الأوطان، وأقبلت إليهم الدنيا بحذافيرها، فظنوا أن ذلك كرامة من الله لهم، وأنهم إنما حصلوا على ذلك لاستحقاقهم له، ولم يكن ذلك إلا استدراجًا من العلي القدير، فنسوا حظًا مما ذكروا به، وطغوا وبغوا وأكثر في الأرض الفساد، ولم يسلم من بطشهم وظلمهم حتى بنو جلدتهم، وأتباع ديانتهم، ونال المسلمين من بغيهم من ذلك الحظ الأوفى، ولأن الله لا يحب الظلم والظالمين، كان حقًا على الله أن يريهم عاقبة ظلمهم في الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم». [السلسلة الصحيحة ٩١٨].

وقد بذل الناصحون لهم النصح من المسلمين الذين هم أعرف الناس بربهم وأيامه، فأبى ساسة القوم إلاَّ طغيانًا كبيرًا واستكبارًا عظيمًا، ولسان حالهم كفرعونهم السابق: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فكانت النتيجة كما حكى الله أيضًا في كتابه الكريم الذي أنزله على خير المرسلين:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وإننا لننتظر حكم الله فيهم كما حكم على أمثالهم: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

وإننا والحمد لله لم نَشُكّ لحظةً في أنَّ الدائرة ستدور عليهم، ولكنها سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

لم يعتبروا ولم يكترثوا لما حلّ بعرش كسرى

لقد تحققت هذه السنة عيانًا لكل ذي بصيرة في عصرنا الحاضر، فلقد مَرَّتْ بالأمة محن وبلايا عظيمة زُلزل فيها المؤمنون زلزالاً شديدًا وفتنوا في دينهم في أرض الإسراء في فلسطين وأفغانستان والعراق والصومال والسودان، بل إن شئت في كل بقعة وطأ أرضها نور الإسلام.

وها هي الدائرة تدور عليهم، على المتكبرين المتجبرين، ويزلزل اقتصادهم، وفاجأهم الله بنقمته التي نسأل الله العلي القدير ألا يرفعها عنهم حتى يروا العذاب الأليم جزاءً بما طغوا في الأرض، لقد أراهم الله مكره بمن سبقهم في البغي إمبراطورية الفرس الروسية، بل حذرهم كسراهم المعاصر «بوتين» من التَّلَبُّس بظُلْم المسلمين، فقد جرَت عاقبة ظُلمه في أفغانستان والقوقاز والبلقان، فأراه الله عاقبة ظلمه إياهم انهيارًا في إمبراطوريته بسُرعة لم يتوقعها عدوهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

فلم يُلْقِ سادة الرأسمالية الغربية بالواقع بالاً، ولم يكترثوا لما حل بعرش كسرى الحاضر، وظنوا أن ذلك حسدًا لهم من أن يحوزوا غنائم الغدر من أرض المسلمين وأموالهم، وما هي إلاَّ سنوات معدودة لم تَبْرُد فيها أكبادُ المصابين من المسلمين على فقد أبنائهم، ولم تجفَّ أرضهم من دماء شهدائهم، وإذا بالصنم يَتَشَقَّقُ، والحلم يتبخر، وإذا بالعاقبة تلوح، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

الفساد الأخلاقي.. وأسباب الأزمة!!

وقد ظلَّ العالم يعتمد على النظام الرأسمالي لفترات طويلة تأكيدًا لمبدأ الاقتصاد الحر، على أن يتوقف دور الدولة على الحراسة والأمن فقط، دون التدخل بصورة مباشرة في النشاط الاقتصادي إلى أن وقعت الأزمة وأعلنت البنوك الكبيرة إفلاسها مما أجبر الدولة على التدخل في محاولة لوقف التدهور، وإنقاذ بقية البنوك المتعثرة.

وبنظرة متأنية وفاحصة للكارثة الاقتصادية، والانهيار المالي نجد أن أسباب الأزمة المالية ترجع إلى عدم احترام وحدات الجهاز المصرفي الأمريكي والأوروبي للسياسات الدولية المتعارف عليها، وهي إدارة السيولة والربحية، وإدارة مخاطر الائتمان، وإدارة كفاية رأس المال، وأنها ركزت فقط على الربح السريع الضخم عن طريق الإقراض غير المسئول وغير المنضبط بالقواعد المصرفية المعروفة خاصة في قطاع العقارات، هذا بجانب أن الربح السريع والضخم قد صاحبه الفساد في قمة إدارة هذه المؤسسات.

وتُعَد خطة الإنقاذ التي وضعتها الإدارة الأمريكية لمواجهة الأزمة بضَخِّ ٧٠٠ مليار دولار في سوق المال ليست ذات أهمية لأنها لا تعالج الجذور ومسببات الأزمة، وإنما تعالج مظاهر الأزمة وبالتالي فإنها لم ولن تُحْدِث الأثر المطلوب على الأقل في فترة وجيزة!!

ويجزم كثيرٌ من الاقتصاديين والمحللين على أن التعاملات الربوية للبنوك والبورصات العالمية هي السبب الأساس في وقوع الكارثة، وأن الفكر الغربي البعيد كل البعد عن الهدي الرباني لا يَعْرِفُ إلاَّ فتح الأسواق لكل أنواع المعاملات المحرمة، أو التدخل الظالم في السوق، ومنع الناس من العمل في أموالهم، وكبت حرياتهم فهو لم يعرف المنهج العادل الذي جاء به الإسلام، المُتمثِّلْ في أن الأصل حرية التعامل في حدود المشروع، ومنع كافة أشكال الظلم والاحتيال والعبث بالسوق، مع الرقابة على السوق لإيقاف كل أنواع التجاوزات غير الشرعية وغير الأخلاقية.

ضرر الربا والديون... وانهيار البنوك

ولقد أعطت هذه الأزمة برهانًا ساطعًا على خطر الربا، وهو دليل واقعي يراه الإنسان رأي العين، وهي من الدلائل التي يُستأنس بها لإيقاظ من لم تردعه النصوص الشرعية، والتحذيرات الإيمانية من هذا الوباء الاقتصادي، ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الربا وهو في مجتمع قروي صغير، وقد بانت آثار الربا الآن في المجتمعات

الصناعية المُعقدة، كما أنه ﷺ حذر من التوسع في الدين المباح، فكيف يكون الحال بالديون الربوية المحرمة؟!

ولهذا جاء في صحيح مسلم: «يُغفر للشهيد كل ذنب إلاَّ الدين». ولم يُصلِّ على من مات وعليه دين تعظيمًا لخطر الدين، فما بالك بالربا والمرابين الذين توعدهم الله تعالى ورسوله ﷺ بالحرب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وأن التعاملات بالربا لا بد وأن يكون لها نهاية مؤلمة، وهو ما حدث عندما دارت عجلة الرهن العقاري الأمريكي، وانتقلت إلى باقي التعاملات، ومنها إلى خارج الولايات لتلحق الأذى بكل البورصات العالمية التي تهاوت لمستويات متدنية لم تحدث من قبل مثلما حدث في الاثنين والثلاثاء الأسودين كما يطلقون عليها السادس والسابع من أكتوبر ٢٠٠٨م.

الاقتصاد الإسلامي.. والفرصة الذهبية

وفي تصريح لإحدى خبيرات المال في أوربا وهي «سواتي تانيجا» مديرة مؤتمر منتدى التمويل الإسلامي والتي قالت فيه: إن الأزمة المالية بأمريكا تعطي فرصة ذهبية للاقتصاد الإسلامي الرافض للتعاملات الربوية، وأشارت إلى أن المنتجات المالية الإسلامية تتجنب تمامًا أساليب المضاربات، وهو ما يبحث عنه المستثمرون في الفترة الحالية، خاصة بعد تراجع البورصات العالمية في أعقاب الأزمة الائتمانية الأخيرة، موضحة أن العاملين في القطاع المالي الإسلامي يسهمون في تأكيد الثقة بقوة واستدامة النموذج المالي الإسلامي، حتى إن البعض يُلَمِّحْ إلى أن المنتجات الإسلامية تعتبر ملاذًا آمنًا خلال الأوقات الصعبة التي تشهدها أسواق المال.

كما رأى خبير أمريكي آخر هو «البروفيسور علي خان» أن الفرصة مواتية لتعضيد التمويل الإسلامي، خاصة أن «وول ستريت» لاحظت أن الاستثمارات المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية حققت نجاحًا أكبر في الأسواق المضطربة.

الاقتصاد الإسلامي.. حصن أمان من الأزمات!!

إن الناظر بعين ثاقبة، ونفس مؤمنة ليجد بونًا واسعًا بين اقتصاد يستمد قوته من الإسلام، وبين اقتصاد يستمد قوته من فكر الأرض، فالفرق بينهما كالفرق بين الأعمى والبصير، والظلمات والنور: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. ولهذا كان من الطبيعي أن يتعرض الاقتصاد البشري لهزات عنيفة وضربات موجعة، تُفقده السيطرة على نفسه، ليترنح في أسواقهم المالية، وشركاتهم ومؤسساتهم البنكية، ويغدو في صورة من يتخبطه الشيطان من المس: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أما الاقتصاد الإسلامي فهو كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولهذا سيبقى شامخًا أبد الدهر، لأنه يرتكز على مبادئ وأصول تنأى به عن التعرض لهزات، وتَجْعلُهُ في مأمن من الوقوع في أزمات، ومن تلك المبادئ ما يلي:

- الاقتصاد الإسلامي لا يعارض الفطرة البشرية، ولا يصادم الغريزة الإنسانية، ولهذا تجد الإسلام قد سمح للمسلم بالتملك في الوقت الذي نجد فيه النظام الشيوعي قد حارب فطرة التملك، وقد فشل فشلاً ذريعًا.- أن الاقتصاد الإسلامي جاء مراعيًا لقيم العدل والإنصاف، دافعًا للظلم بكل أشكاله القديمة والمستجدة، بينما نجد النظام المالي في الإسلام يُكرِّس العدل في كل معاملاته، ويحفظ حقوق الفرد والجماعة، وحقوق الأغنياء والفقراء على حد سواء، ولهذا حرَّم كل ما يضر بالغير كالغش وبيع المسلم على بيع أخيه، وبيع الغرر «مجهول العاقبة» وبيع ما لا يقدر على تسليمه، وبيع ما لا يملك، ومنع من كل ما فيه ابتزاز لأحد المتعاقدين، ولهذا حَرَّمَ القرض بالفائدة، ومنع بيع المُكْرَه والفضولي، وقيّد بيع الصغير... إلخ. أما النظام الرأسمالي فإنه أبعدُ ما يكون عن هذا المبدأ.

- إن الاقتصاد الإسلامي يراعي المصلحة العامة ويقدمها على المصلحة الخاصة عند التعارض، ولهذا حرم الإسلام العديد من المعاملات التي تجر منفعة للفرد إذا كانت تضر بالمجتمع، ومن هنا جاء تحريم الخمر، لأنه وإن حقق ربحًا للبائع، فإنه يحقق مفاسد كبيرة للمجتمع، وحرم الربا والقرض بالفائدة، ومنع من بيع السندات؛ لأنه يسهم في تقنين الربا، وتعليبه في قوالب ورقية وتوزيعه على أفراد المجتمع ليتحول المجتمع بمؤسساته وشركاته وأفراده إلى مدينين لبعضهم البعض، كما حصل في هذه الأزمة

الأخيرة.

– إن الاقتصاد الإسلامي قد جعل من أصوله العامة كل المعاملات، ولم يحرم منها إلا ما استثنى، وبالتالي فإنه قد وَسَّع من هامش الحلال، ولكنه في نفس الوقت حرم بعض المعاملات التي فيها ربا أو ضرر أو غَرر أو تغرير.

– أن الاقتصاد الإسلامي يركز على الاقتصاد المنظم لا الحر، ولهذا نجد الشارع قد وضع شروطًا للبيع، وأخرى للسلم والإجارة والرهن والحوالة، وضوابط للشركة.

وأخيرًا فإن اقتصادًا يحترم الفطرة البشرية، ويراعي العدالة الاجتماعية، ويحقق المصلحة الخاصة والعامة، ويدرأ المفسدة الراجحة، ويوسع من هامش الحلال، ويضيق من دائرة الحرام، ويرتكز على سوق مالي منظم من عند خالق البشر، اقتصادًا بهذه المقومات والمبادئ لهو جدير بأن يحقق الخير والرفاهية للعز والمجتمع، وحقيق أيضًا أن ينأى بأفراده وبشركاته وبنوكه عن الأزمات، وذلك متى التزام أفراد المجتمع وشركاته وبنوكه، ومصارفه تعاليم الخالق الحكيم العليم: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، أما إن تنكبوا الطريق، وضلوا السبيل، واستدبروا تعاليم الخالق سبحانه، وولوا وجوههم شطر الذين صنعوا الطائرة والبارجة والدبابة وعجزوا عن خلق الناموسة والنملة والذبابة، فسيتسلل إليهم ما تسلل إلى غيرهم!!

من يبذر الشوك يجني الجراح

وأخيرًا وليس آخرًا فإننا لنتذكر ما كتبه «جاري يونج» في صحيفة الجارديان يوم ١١/٧/٢٠٠٥ بعد تفجيرات لندان: «نحن لا نحتكر الألم أو المعاناة أو الغضب أو التصميم، ودماؤنا ليست أشد احمرارًا من دماء العراقيين والأفغان، ولا عظامنا أشد صلابة من عظامهم، ولا أعيننا أجود بالدموع من أعينهم».

وأضاف «يونج»: إن توني بلير ليس مسئولاً عن مقتل ٥٠ شخصًا وجرح ٧٠٠ شخص يوم الخميس، وإنما الجهاديون هم المسئولون عن ذلك على الراجح، لكن بلير مسئول جزئيًا عن مقتل ١٠٠,٠٠٠ شخص في العراق». اهـ.

والولايات المتحدة الأمريكية لم تترك مساحة في قلوب الناس للشفقة عليها، بل زرعت الموت، وأشعلت الحروب، وأشعلت الفتن الطائفية والفرقة، وسقت شجرة الغرقد في المنطقة، وزودتها بكل ما تملك، وحاربت الإسلام باسم مكافحة الإرهاب، ودعت الدنيا كلها إلى منع الماعون بمحاربتها العمل الخيري بكافة صوره بقصد تجفيف المنابع، وساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في حصار غزة بلا رحمة.

ولن ينجو القوم بأفعالهم هذه، وليست أزمة الرهن العقاري سوى مس مما يستحقه القوم، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]؟!

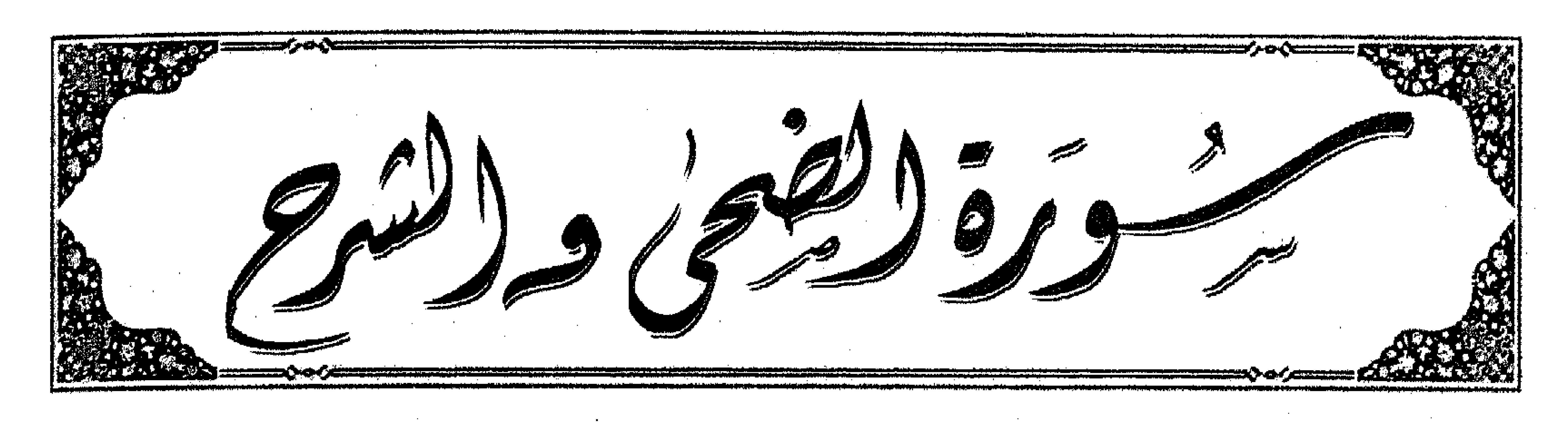
أسأل الله العليّ القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العلى لأئمة الكفر وطواغيته كما قال موسى – عليه السلام – في دعائه على فرعون وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

كما نسأله أن يهدي عامتهم، ومن لم يتلبس منهم بظلم أحد من خلقه إلى الخير والهدى والإيمان، فلا عداوة بيننا وبينهم إلاَّ في الله ومتى أذعنوا للحق فإنهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية – الأستاذ / جمال إبراهيم الحاج على – الداعية بفرع البتانون وعضو مجلس الإدارة بها – وأسرة التحرير بمجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء لأسرة الفقيد والأخوة بالفرع. سائلين المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه.



إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية. روى البخاري بسنده عن جُندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأةٌ فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكونَ شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

تفسير السورة

﴿وَالضُّحَى﴾ معروف. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أي سكن فأظلم. كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾. وجوابُ القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أي: ما هجرك بعد أن وصلك، ولا أبغضك بعدَ أن أحبك، ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾ على كثرةِ ما أُوتيتَ في الدنيا من فضلٍ، فالآخرةُ خيرٌ لك من الأولى، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ والأولى إبقاءُ هذا الوعد على عمومه، إلا أن من المبشرات أنه يدخل في هذا الوعد ما رواه مسلم في الصحيح: أن النبي ﷺ قامَ ذات ليلةٍ يصلّي، فقرأ المائدة حتى أتى على قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فأخذ يردد الآية ويبكي. فقال الله تعالى: يا جبريلُ، ائت محمدًا فاسأله ما يبكيه؟ وربك أعلم. فأتى جبريلُ النبي ﷺ فسأله، فقال: يا جبريل، أمتي، أمتي. فعرج جبريلُ فذكر ما قال محمد، وربك أعلم. فقال الله تعالى: يا جبريل، ائت محمدًا، فقل له: لا تبكِ فإنا سنُرضيك في أمتك.

ثم أخذ اللهُ تعالى يعدّد على محمد ﷺ نعمَه، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، ومعلومٌ من سيرته ﷺ أنّ أباه تُوفّي وهو جنينٌ في بطن أمه، ثم تُوفيت أمه وهو ابن ست سنين، فكفله جده عبد المطلب، ثم تُوفي عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب، وألقى الله تعالى محبة محمد في قلب أبي طالب، فكان أقرب إليه من أبنائه، فآواه وأحسن إليه، ولم يزلْ يحوطه برعايته وعنايته حتى بُعث، فنصره ودافع عنه وكفَّ أذى قومه عنه، مع أنه كان على دين قومه، ولم يؤمن بنبوة ابن أخيه محمد ﷺ، وإنما كان ذلك كله بقدر الله وحُسن تدبيره لنبيه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ أي: وجدك غافلاً عن هذا الدين، وهذا الوحي، وهذه الشريعة، فاختارك لها، ومَنَّ عليك بها دون سائر قومك، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا

كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ أي: وجدك فقيرًا ذا عيال فأغناك أولاً، بغنى النفس، وهو الأصل، كما قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس».

فأغنى الله نبيه غنى النفس، ورزقه القناعة، وهي كما يقولون كنزٌ لا يفنى، كما أغناهُ بكسبه وتجارته في مال خديجة، ثم تزوجها فكان مالها له.

فإذا علمت فضل الله عليك: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾، لقد كنت يتيمًا فآواك الله، فأحسن إلى اليتيم وأكرمه، لا تقهره، ولا تظلمه، ولا تدفعه ولا تطرده، ولقد أحسن ﷺ إلى اليتامى، وأمر بالإحسان إليهم، ونهى عن أذيتهم وظلمهم، وكان يقول: «اللهم إني أُحرّجُ حقّ الضعيفين: اليتيم والمرأة».

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾، فمَن سألك شيئًا من مالك أو من جاهك فلا تنهره على سؤاله، ولكن إما أن تعطيه، وإما أن ترده بميسور من القول، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، كما أنّ لفظ السائل يشملُ أيضًا طالبَ العلم إذا سأل عن مسألة، فعلى العالم ألا ينهره، بل يكون به رفيقًا، وعليه حليمًا، وعليه أن يصبر على قلّة فهمه، ويعيد عليه القول حتى يفهمه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؛ لأن التحدث بها شكرٌ، والشكرُ يزيدها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سورة الشرح

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [سورة الشرح].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، شديدةُ الاتصال بالسورة التي قبلها، ولذا كان بعضُ السلف يعتبرهما سورةً واحدة، فلا يفصل بينهما بالبسملة.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ سؤالُ للتقرير، ومعناه: قد شرحنا لك صدرك، ومن شرح الله صدره يسر له الخير، وأعانه على البر، ورزقه حُسن الخُلق وسعة الصدر، فهو دائمًا يسع الناس بحلمه، ويسعهم بحسن خلقه، وهو دائمًا هين لين، رفيق رحيم، ومن كان كذلك وُفق في دعوته، وأقبل الناس عليه، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولذا لما كلف الله موسى أن يأتي فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، أي: وسع صدري حتى أتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا أضيق صدرًا بما أسمع من أذى، ولا بما ينالني من أذى، فإن واسع الصدر لا يحزن ولا يغتم لكلمة يسمعها أو أذية تصيبه، وإنما يتلقى الأذى على الرحب والسعة، ويصبر على ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى، وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: من

المعلوم أن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب قبل النبوة وبعدها، فلم يبقَ إلا الصغائر، التي ربما تكون عن اجتهاد، فهي مغفورةٌ، إلا أن شرف الأنبياء وعُلو شأنهم يجعل النبي إذا كانت منه الصغيرة - ولو عن اجتهاد - يراها شيئًا عظيمًا، ويحمل همها، وهذا الإحساس ربما وجده بعضُ الصالحين من المؤمنين، فالأنبياء أولى بذلك، فتفضل الله على نبيه ﷺ وغفر له ما كان من نحو ذلك، فوضع عنه بذلك وزره، الذي أنقض ظهره، والنقيض هو الصوتُ الذي يُسمع من المحمل فوق ظهر البعير من شدة الحمل، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فلا يُذكر الله إلا وذُكرت معه، في الأذان، والإقامة، والصلاة، والخطبة، ونحو ذلك، حتى لو أن رجلاً آمن بالله وكفر بمحمدٍ ما نفعه ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مع الكرب فرجًا، ومع الشدة رخاءً، فليصبر الإنسان، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال العلماء: عُرِّفَ العُسْر، ونكِّر اليُسر، فتوحد العسر، وتعدد اليسر، ولذا جاء عن بعض السلف: لن يغلب عسر يسرين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال بعض العلماء: إذا فرغت من أشغال الدنيا فانصب في عبادة ربك، وأرجح الأقوال: إذا فرغت من عملٍ فانصب في عملٍ آخر، إذا فرغت من عمل الدنيا فانصب في عمل الآخرة، وإذا فرغت من عمل الآخرة فانصب في عمل الدنيا، وإياك والكسل، وإياك والخمول، وإياك واللهو، وإياك واللعب، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه مرّ برجلين يتصارعان، فقال: ما بهذا أُمرنا بعد فراغنا، وكان عُمر رضي الله عنه يقول: إنّي لأكرهُ لأحدكم أن يكون سَبَهْلَلاً، لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

وقال بعضُ العلماء: هذه الآية حلَّتْ مشكلة الفراغ عند المسلمين، ولذلك لم يشتك الصدر الأول مما يشتكى منه الناس اليوم، يدلك على ذلك قول عروة بن الزبير وهو حدثٌ صغير السن لعائشة رضي الله عنها وكانت خالته: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ إذن، فلا جناح على الرجل أن يدع الطواف بين الصفا والمروة. فقالت عائشة: لا، يا ابن أختي، ليست هكذا، ولو كانت كما فهمت لقال الله: فليسَ عليه جناحٌ أن لا يطوف بهما. [متفق عليه].

والشاهدُ أن هذا الصبي اليافع، هكذا كان يقرأ القرآن، ويتدبر معانيه، وهكذا كان حريصًا على التثبت من صحة فهمه، ومن كان كذلك فلن يكون عنده فراغ أبدًا.

فيا أخا الإسلام: وقتك وقتك !! فإنه رأس مالك في تجارتك مع الله، وكل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، فإنه إذا فات لم يتعلق بالنفس أملٌ في رجوعه؛ فاغتنم فراغك يا عبد الله، واعلم أن «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة». [صحيح: رواه الترمذي: ١٥٣١ / ١٧٤ / ٥].

فانظر إلى مضيع الساعات كم ضيّع من نخلات؟! والله إنها لجريمة كبرى هذه المقولة: قال نضيع الوقت، وسوف يعلم هؤلاء قيمة الوقت إذا جاء أحدهم الموت، وسوف يطلب قليلاً من الوقت يتدارك فيه ما فات، وهيهات هيهات، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ أي: اجعل نيتك لله، ورغبتك إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين.

وجوب لزوم الجماعة عند حلول الفتن

الحمد لله، الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه كافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

إعداد/ زكريا حسيني محمد

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال: «نَعَمْ، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضعين، أحدهما في كتاب المناقب (باب علامات النبوة في الإسلام برقم: ٣٦٠٦)، والآخر في كتاب الفتن (باب كيف الأمر إذا لم يكن جماعة برقم: ٧٠٨٤).

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة برقم ١٨٤٧)، وكذا الإمام أحمد في المسند برقم (٥ / ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الفتن برقم (٤٢٤٤، ٤٢٤٦)، وابن ماجه في الفتن برقم (٣٩٧٩).

راوي الحديث

هو حذيفة بن اليمان - واسم اليمان: حِسْلُ، ويقال: حُسَيْلُ - ابن جابر العَبْسِي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين. قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» له في الصحيحين اثنا عشر حديثًا، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم سبعة عشر حديثًا.

قال: وكان والده حسْلُ قد أصاب دمًا في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه «اليمان»؛ لحلفه لليمانية وهم الأنصار.

شهد حُذيفة وأبوه حسْل أحدًا، فاستُشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة غَلَطًا ولم يعرفه، لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بينة وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر، ولما شدوا على اليمان يومئذ بقي حذيفة يصيح: أبي! أبي! يا قوم! فراح خطأ، فتصدق عليهم حذيفة بديته. قال عروة بن الزبير راوي هذا الحديث عن عائشة أم المؤمنين: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل. وفي رواية ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام - من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد: فقال حذيفة: قتلتم أبي ! قالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَهُ - أي يدفع إليه ديته - فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا.

وفي المستدرك ٣ / ٣٨١ من طريق الأعمش بسنده إلى قيس قال: سئل عليّ رضي الله عنه عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثم وقف عند شبهاته،

فأحل حلاله وحرم حرامه، وسئل عن عمار، فقال: مؤمن نسي وإذا ذكر ذكر، وسئل عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين. وفي صحيح مسلم: قال حذيفة: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أنني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريد إلا المدينة؛ فأخذوا العهد علينا: لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ. فقال: «نفي بعهدهم، ونستعين بالله عليهم».

قال الحافظ الذهبي: وكان النبي ﷺ قد أسَرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك.

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي إدريس الخولاني سمع حذيفة يقول: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.

وأخرج الشيخان عن أبي وائل عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه ونسيه من نسيه.

قال الإمام الذهبي: ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. قال: مات حذيفة بالمدائن سنة ست وثلاثين وقد شاخ.

قال ابن سيرين: بعث عمر حذيفة إلى المدائن، فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سَلْ ما شئت، قال: طعامًا آكله، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تبن، فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: اقْدَمْ. فلما بلغ عمرَ قدومه، كمن له على الطريق ؛ فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديث في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، قال الحافظ في الفتح: قوله: (باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعةٌ) كان تامة، والمعنى: ما الذي يفعله المسلم في حال الاختلاف من قبل أن يقع الإجماع على خليفة.

وقوله: «مخافة أن يدركني» في رواية نصر بن عاصم عن حذيفة عند ابن أبي شيبة: «وعرفت أن الخير لن يسبقني». وقوله: (في جاهلية وشر). يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر والشرك وقتل بعضهم بعضًا ونهب بعضهم بعضًا وإتيان الفواحش.

قوله: «فجاءنا الله بهذا الخير» يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش. زاد مسلم في رواية أبي الأسود عن حذيفة «فنحن فيه».

قوله: «فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم»، المراد بالشر ما وقع من الفتن بمقتل خليفة رسول الله ﷺ ذي النورين، وما بعده وهلم جرا، وقيل: ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

قوله ﷺ : «نعم، وفيه دَخَنٌ». بدال مهملة وخاء معجمة مفتوحتين بعدهما نون: وهو الحقد والغل، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب، يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرًا خالصًا، بل فيه كدر، وقيل: المراد بالدَّخَن الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل: الدخن كل أمر مكروه، وقال أبو عبيد: يفسر المراد بالحديث الحديث الآخر: «لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه»، فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض.

قوله: «قوم يَهْدُون بغير هديي» وفي رواية أبي الأسود: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي».

قوله: «تعرف منهم وتنكر» يعني: من أعمالهم، فالأعمال هي التي توصف بالمعرفة والإنكار، وليس المقصود الذوات والأشخاص، وفي حديث أم سلمة عند مسلم: «فمن أنكر بريء ومن كره سلم».

قوله ﷺ : «دعاة على أبواب جهنم» الدعاة: جمع داعٍ، والمراد: دعاة إلى غير الحق، وعلى أبواب جهنم: إطلاق ذلك عليهم باعتبار ما يؤول حالهم إليه، كما يقال لمن أمر بفعل محرم: وقف على شفير جهنم.

قوله: «هم من جلدتنا» أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب، وقال الداوودي: أي من بني آدم، وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، ووقع في رواية أبي الأسود: «فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». والجُثْمَان هو الجسد، ويطلق على الشخص. وقد نقل الإمام النووي والحافظ ابن حجر قول القاضي عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر: الأمراء بعده؛ فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، قال ابن حجر: قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما

أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع على علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم: من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم» يعني: ولو جار. ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: «ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك». كان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج وغيره.

قوله: «ولو أن تعض» أي: ولو كان الاعتزال بالعضِّ فلا تعدل عنه، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه: «فلأن تموت وأنت عاضٌ على جِذْلِ خير لك من أن تتبع أحدًا منهم». والجِذْلُ: عود يُنْصَبُ لتحتكَّ به الإبل.

وقوله: «وأنت على ذلك» أي: العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عَصَوْا، قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشاق، كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم. أو المراد: اللزوم كما في الحديث الآخر: «عضوا عليها بالنواجذ». قال ابن حجر: ويؤيد الأول قوله في رواية عبد الرحمن بن قرط عند ابن ماجه: «فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم».

قال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأن وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم»، ولم يقل فيهم: «تعرف وتنكر»، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون دعاة على أبواب جهنم إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، [أي الأمر بلزوم الجماعة]، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم [أي عموم المسلمين] ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه أوصى من سأله لما قتل عثمان رضي الله عنه: «عليك بالجماعة، فإن الله تعالى لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة». وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين، قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا منهم في الفرقة ويعتزل الجميع خشية من الوقوع في الشر.

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله تعالى في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء؛ فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببًا في دفعه عمن أراد الله له النجاة، وفي الحديث أيضًا سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه، ويؤخذ من الحديث أن كل من حبب إليه شيء يفوق غيره فيه، ومن ثَمَّ كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خُصَّ بمعرفة أسماء المنافقين، وبكثير من الأمور التي تأتي في المستقبل.

ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلِّمَ التلميذَ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه مما هو مباح فإنه أجدر أن يسرع إلى فهمه والقيام به، وأن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيرًا، وكذا بالعكس.

ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع. اهـ.

قال السيد محمود شكري الآلوسي في «مختصر التحفة الإثني عشرية» عقب سياقه لهذا الحديث: فيا له من حديث اشتمل على علوم أخبر بها الصادق الأمين ﷺ عن فوائد جليلة تفيد العلم اليقين؛ منها حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على علم ما يستقيم به دينهم المتين، ومنها أن أول خير يقع في أمته فيه كدورة تذهب بصفائه، وفيه تغيير يغاير ما أمروا باقتفائه، ومنها أن يكون بعد ذلك دعاة من الأشرار، من أجابهم قذفوه - والعياذ بالله تعالى - في النار، فهم كذابون دجالون، ضالون مضلون.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم». أخرجه الإمام مسلم وغيره.

ولقد صدق عليهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ومنها أن النبي

ﷺ أمر من أدرك ذلك الزمان أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وهم الذين اتبعوا سنته ولزموا طريقته، فإن لم يكن لهم جماعة وكانوا غرباء فالواجب عليهم العزلة عن تلك الفرق كلها، ثم حرض النبي ﷺ على هذا الاعتزال الذي فيه سلامة الدين بقوله على سبيل المبالغة: «ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك» العمل ؛ معرض عن كل ما يفسد عليك دينك الذي هو رأس مالك، صابر على تلك المعاطب والمهالك.

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، ومن يَعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

فقد أوصانا ﷺ بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين الذين هم على طريقته، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة والأخبار الرجيحة التي تحث على اتباع الكتاب وسنة الرسول ﷺ فإنهما الداعيان إلى سبيل العليم العلام. اهـ.

وبعدُ، أخي المسلم رأيت كيف يخرج أناس عن جماعة المسلمين بمناهج لا تمت إلى كتاب الله تعالى، ولا إلى سنة رسول الله ﷺ بصلة ولا تصل إليهما بسبب، منهم من انتكست فطرهم كالروافض الاثنى عشرية الذين اخترعوا دينًا غير الإسلام يدينون لله به، يقوم على تكذيب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، متخذين أهواءهم آلهة؛ فَضَلُّوا على علم، زعموا أن القرآن محرف مبدل مغير فيه، ونسوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أو تناسوا ذلك وكفروا بهذا القول ونسجوا لأنفسهم خرافة سموها بالمهدي «قائم آل البيت» زعموا أنه أول ما يظهر سيحيي أبا بكر الصديق وعمر الفاروق - وزيري رسول الله ﷺ - ويصلبهما ويحرقهما، وسيحيي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين وزوج رسوله الأمين وأحب أزواجه إليه، ويقيم عليها الحد - حد الزنى - وقد كفروا بما أنزل الله تعالى في براءتها قرآنًا يتلى في مساجد المسلمين إلى يوم القيامة، كما قال لها غير واحد من الصحابة منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عندما زارها وهي في سياقة الموت.

ويتخذون النفاق دينًا باسم «التقية»، وهم يعملون الآن جاهدين لتفريق كلمة أهل السنة وزرع باطلهم داخل بلاد السنة، ينفقون الأموال الطائلة في ذلك، ويغرون شباب المسلمين بالسفر إلى بلادهم، وإغداق الأموال عليهم، بل جاءت أُسَرٌ منهم لتعيش في مصر لبث بذور الفساد في أهلها، ولا عجب في ذلك، فالله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ولكن العجب ممن يفرحون بهم ويدافعون عنهم ويشجعونهم على ذلك ممن عميت بصائرهم وانطمس الحق في قلوبهم فلم يفرقوا بين حق وباطل، وراحوا يروجون لضلالاتهم، بزعم الاستفادة من ثورتهم، أو من تصدى بعضهم لليهود - كما يزعمون - والحق أن الباطل كله باطل والضلال ضلال، ولكن يظن المغفلون أنهم سيركبون الشيعة لتحقيق أغراضهم السياسية، كما زعموا أنهم ركبوا قبل ذلك بعض الأحزاب في مصر، ليس اقتناعًا بما عليه الأحزاب، ولكن لاستغلالهم كأحزاب قائمة في الوصول إلى السلطة السياسية!!

وهؤلاء سوف يحاسبهم الله تعالى على ترويج الباطل والضلال والدفاع عنه، ولو كان بنية استغلال هذا الضلال لصالحهم، ولو زعموا أنهم أهل سنة إذ أنهم من سنة رسول الله ﷺ بعيدون كل البعد، فحديثنا هذا وغيره من الأحاديث ناطقة وشاهدة عليهم بشذوذهم وضلال مسلكهم، فبعضهم ينكر أن يكون للمسلمين جماعة ولا إمام، فنقول لهم: إن كان الأمر كذلك وهو بالنسبة لكم ذلك، فهل تعملون بوصية رسول الله ﷺ باعتزال تلك الفرق ولزوم البيوت، أم أنكم تجاهدون بزعمكم لإيجاد الأمير؟

وبعضهم يقرأ الحديث ويفهم من قول الرسول ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» هو لزوم الجماعة التي ينتمي إليها ويسمع ويطيع لأميرها، وهذا من أعجب العجب، ولقد نقلنا أقوال علماء الأمة أن المقصود بالجماعة السواد الأعظم، وليست الفرق التي تخرج على جماعة المسلمين، ولقد سمعت شريطًا لواحد من هؤلاء يناقش الشيخ الألباني رحمه الله تعالى - وكانت المناقشة في عمان الأردن

جمال البنا

يفتري الكذب

على الأئمة الأعلام

إعداد/د. علي السالوس

إجماع الأئمة الأعلام، وما تلقته الأمة بالقبول، لا يمكن أن يكون خطأ، فالأمة - وهي خير أمة أخرجت للناس - لا تجتمع على ضلالة.

والمدعو جمال البنا دأب على الخروج على هذا الإجماع، والتشكيك في الثوابت التي لا خلاف فيها، ولا يستغرب أن يقول بأنه هو أو غيره اكتشف خطأ وقعت فيه الأمة والأئمة الأعلام، وذلك كما جاء في مقالة بجريدة «المصري اليوم» بتاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠٠٨م، وأشارت إليه في الصفحة الأولى، ثم خصته بمساحة كبيرة.

وبالرجوع إلى المصادر التي رجع إليها واحتج بها للطعن في «صحيح البخاري» وفي إجماع الأمة يتبين أن كل هذه المصادر بلا استثناء تؤيد بلا خلاف أنه وقع في خطأ جسيم يتنافي مع أخلاق أي مسلم مؤمن؛ فالمؤمن لا يكذب، حيث قال: إن هذه الكتب تجمع على أنه ﷺ تزوج عائشة في الثامنة عشرة من عمرها وليس في التاسعة.

والكتب التي ذكر الكاتب أنها تخالف ما جاء في «صحيح البخاري» هي: الكامل، وتاريخ دمشق، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الطبري، وتاريخ بغداد، وكتاب وفيات الأعيان.. ثم ضم إلى هذه الكتب بعد ذلك كتابين هما: الإصابة، والبداية والنهاية.

وأنقل هنا ما جاء في هذه الكتب الثمانية، ذاكرًا الجزء ورقم الصفحة ليرجع إليها من شاء، والصفحات كلها عندي يمكن أن أرسلها لمن يطلبها.

جاء في كتاب «الكامل» لابن الأثير: «فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين»ثم قال: «وأما عائشة فدخل بها في المدينة وهي ابنة تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة». ج٢، ص١٧٥- الطبعة الأولى).

وفي «تاريخ دمشق» (٣/١٨٠) قال ابن عساكر: «فنكحها رسول الله ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين، وبنى بها بعدما قدم المدينة، وعائشة يوم بنى بها ابنة تسع سنين».وفي «سير أعلام النبلاء» قال الذهبي: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة (أي: بعد وفاة خديجة رضي الله عنها)، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع».

وأما الطبري فتحدث عن نكاحها في ثلاث صفحات من الجزء الثاني، فقال في (ص٩):

«بنى رسول الله ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر، في ذي القعدة في قول بعضهم، وفي قول بعض: بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر، في شوال، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة، وهي ابنة ست سنين، وقد قيل: تزوجها وهي ابنة سبع».

وبعد أسطر ذكر قول عائشة: «نزل الملك بصورتي، وتزوجني رسول الله ﷺ لسبع سنين، وأهديت إليه لتسع سنين».

وفي (ص٢١١) قال: «فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة لا تصلح للجماع».

وفي (ص٢١٢) ذكر قول عائشة: «فبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين».

وبعد ثلاثة أسطر قال الطبري: «ونكح عائشة متوفى خديجة، كان رسول الله ﷺ رأى عائشة مرتين، يقال له: هذه امرأتك، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين. ثم إن رسول الله ﷺ بنى بعائشة بعدما قدم المدينة وهي يوم بنى بها ابنة تسع سنين».

وفي تاريخ بغداد (ج١١، ص٢٧٥) روى الخطيب البغدادي «أن النبي ﷺ تزوج عائشة وهي ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع سنين، وقُبض النبي ﷺ وهي ابنة ثمان عشرة سنة».

وفي وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة عائشة رقم (٣١٨) (ج٣ ص٩، ١٠) جاء ما يأتي: «تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان لها يوم تزوجها ست سنين، وقبض ﷺ وهي بنت ثماني عشرة سنة».

هذه هي الكتب الستة التي ذكرها البنا، وقال بأنها تجمع كلها على خلاف ما جاء في البخاري، وتنقض قضية تقبلتها الأمة بالإجماع.

فهذه النقول التي نقلتها كما جاءت بالنص من هذه الكتب تؤكد ما جاء في صحيح البخاري، وما أجمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول، فهل يجد البنا تفسيرًا لهذا المسلك الذي سلكه؟!

ويبقى الكتابان ذكرهما اللذان البنا تأييدًا لما ذهب إليه، فلننظر فيهما:

أحدهما كتاب «الإصابة» للحافظ ابن حجر، وترجمة عائشة في الجزء الرابع (ترجمة رقم ٧٠٤)، جاء فيها: «ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس؛ فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست، وقيل سبع، ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة، ودخل بها وهي بنت تسع».

والكتاب الثاني هو «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: وذكر في الجزء الثالث (ص١٧٦) ما يأتي في زواج عائشة: «تزوجها وهي ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع، لا خلاف فيه بين الناس، وقد ثبت في الصحاح وغيرها».

ومن هذا نرى أن الكتابين يؤكدان ما جاء في كتب التاريخ الستة التي ذكرها وما في صحيح البخاري.

فهل من أخلاق المسلم أن يقول كلامًا غير صحيح ليهدم ما أجمعت عليه الأمة، وما تلقته بالقبول؟ وما جاء في صحيح البخاري، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى؟

وقبل أن أختم هذه الكلمة أضم بعض ما جاء في مقالة في «المصري اليوم» أيضًا بتاريخ ٢٠/٨/٢٠٠٨، تحت عنوان: «إنها دعوة لإثارة الفكر وإعمال العقل».

قال مدافعًا عن قوله بإباحة التدخين في

نهار رمضان، وإباحة القبل الغرامية بين الشباب والشابات: هذه الاجتهادات في مقصد الهجرة إلى الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

وقال: من أكبر أسباب تخلف المجتمع المصري سوء فهم الإسلام، وقد أدت إساءة فهمه إلى تدهور المجتمع.

وجاءت هذه الإساءة من الاعتماد كليًا على ما فهمه عبر الأسلاف، وما وضعوه من القواعد والمبادئ لمنظومة المعرفة الإسلامية من تفسير أو حديث أو فقه منذ أكثر من ألف عام، ومع التقليد جاء الغباء وصدأ العقل المسلم.

ثم قال ذلك الذي يصف الأمة بالغباء وصدأ العقل:

لا تحرر إلا بالتحرر من التراث الفقهي، والعودة إلى القرآن نفسه، وعدم الاعتداد بالمفسرين، من ابن عباس حتى سيد قطب، وضبط السنة بمعايير من القرآن الكريم... إلخ.

بعد هذه النقول نرى ما يأتي، والله عز وجل هو الأعلم:

١- في المقال الأول ركز هجومه على صحيح البخاري، مع أنه لم ينفرد بروايته، بل رواه أيضًا: مسلم، وأبو داود، والنسائي، والدارمي، وابن ماجه، وابن الجارود، والبيهقي، والطيالسي، وأحمد، وابن سعد في الطبقات. (انظر إرواء الغليل ٦/٢٣٠).

أي أن زواج الرسول ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في السادسة، والبناء بها وهي في التاسعة، جاء في عشرة كتب من كتب السنة غير صحيح البخاري، فلو أن كتب التاريخ تعارضت مع كتب السنة، فإن المنهج العلمي يفرض علينا تقديم كتب السنة المسندة المتصلة الإسناد على كتب التاريخ التي لا تنضبط بضوابط السنة، فالتاريخ كما يقول الإمام أحمد من العلوم التي لا أصل لها.

غير أن التركيز على صحيح البخاري لأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم، فلو هُدم أمكن هدم باقي كتب السنة، هذا المقصد يتضح من مقاله الثاني حيث دعا إلى ترك تراثنا الحديثي، وهدم السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم.

وأول من دعا إلى هذا فرقة ضلت في عهد الإمام الشافعي كما جاء في الجزء السابع من كتاب الأم، وناقشها مناقشة علمية ممتعة حتى ردها من ضلالها.

وأثبتّ نص الحوار، كما ذكرت من جاء بعد هذه الفرقة من الضالين، وأثبّت ضلالهم جميعًا في كتابي «قصة الهجوم على السنة» أو: «السنة بيان الله على لسان رسوله».

وطبع عدة طبعات مستقلاً، وطبعات أخرى ملحقًا بكتابي «مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع – موسوعة شاملة».

٢- السنة النبوية المشرفة خُدمت خدمة لم تعرفها أمة غير أمة الإسلام، ووضعت لها ضوابط دقيقة جعلت بعضها يصل إلى حد التواتر كالقرآن الكريم، وبعضها وصل إلى التواتر عن بعض الصحابة، وبعضها صحيح لا شك فيه، فكيف أننا نترك السنة وعلومها، ونبدأ بسنة جديدة حديثة تضبط بضوابط القرآن الكريم؟!

٣- ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن، وما ثبت عنه مرفوعًا في التفسير، أو كان في حكم المرفوع، فهو في أعلى مراتب التفسير، فإذا طعنا فيه وفيما ثبت عن باقي الصحابة أصبح القرآن الكريم بدون تفسير، وهو ما دعا إليه البنا،

كما دعا إلى أن نترك الفقه كله، ما ثبت عن الأئمة الأربعة وغيرهم، وهكذا علينا أن نحرق كتب التفسير والحديث والفقه، فالتمسك بها أدى إلى الغباء وصدأ العقل المسلم كما يزعم ذلك المجترئ الضال.

٤- بعد هذا يبقى القرآن وحده، والخطوة التالية أن نسلمه للمدعو جمال البنا الذي لم يصب بالغباء وبصدأ العقل كما أصيبت أمة الإسلام، ليخرج لنا ما نتبعه مما يستحدثه بعقله من التفسير والحديث والفقه، وأظن أنه في التسعين من عمره؛ أي ممن رد إلى أرذل العمر، وقدم لنا نماذج من فقهه؛ فعلى الصائمين أن يدخنوا في نهار رمضان كما يشاءون، فالتدخين من الطيبات التي لا تفطر وليس من الخبائث، وعلى الشباب والشابات أن يتبادلوا الأحضان والقبل الغرامية فلا حرج عليهم، وبالطبع ستأتي البقية.

٥- القرآن الكريم نقل إلينا عن طريق الصحابة رضي الله عنهم، وما دمنا طعنا فيهم وفي روايتهم للتفسير والحديث، فلم يبق إلا أن نطعن في روايتهم للقرآن الكريم.

وهذه هي الخطوة التالية التي تبقى أمامه، وعندها ستصبح شهرته مثل شهرة سلمان رشدي وأمثاله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي مقال ثالث في الصحيفة نفسها بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/١٨م واصل هجومه على السلف الصالح والأئمة الأعلام، وعلى الأمة التي تسير على نهجهم فقال في مقال تحت عنوان: «فصل المقال فيما بين الشيعة والسنة من اتصال» بأن عصمة الأئمة عند الشيعة كالقول بأن البخاري أصدق كتاب بعد كتاب الله تعالى، والالتزام بكلام الأئمة الأربعة، وتطبيق أحكام وضعها السلف الصالح منذ ألف عام... إلخ.

ثم قال: لا أرى خطرًا في أن يتحول السني إلى شيعي، فالدولة الصفوية هي التي حشدت المعجزات وعلم الغيب والعصمة للأئمة، ولوثت أسماء أبي بكر وعمر وعائشة، وهذا ليس منهج شيعة اليوم.

هذا بعض ما جاء في هذا المقال السيئ.

وذاك الذي وصف أمة الإسلام بالغباء وصدأ العقل، فأي غباء وصدأ لعقله - لو كان له عقل - أكثر من أنه لا يستطيع أن يميز بين عصمة الأئمة، وعلمهم الغيب، وجمعهم جميع معجزات الأنبياء، وبين تصديق الإمام البخاري ومن روى عنهم، والأخذ بأقوال الأئمة الأربعة والسلف الصالح مع قول الإمام مالك: كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا المقام، وأشار إلى مقام رسول الله ﷺ، وقول الإمام الشافعي: قولي صحيح يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب، فمن له مسكة من عقل ألا يستطيع أن يميز بين عقيدة الشيعة وأقوال أهل السنة؟!

والدولة الصفوية ليست هي التي حشدت ما حشدت، وطعنت في الصحابة الكرام، وإنما أظهرت وأعلنت الأخذ بأقوال الشيعة الرافضة أتباع عبد الله بن سبأ، وشيعة اليوم امتداد لهؤلاء الرافضة وللدولة الصفوية.

وقد أثبت هذا بالتفصيل في مقالات سبقت، وأحاديث في إحدى القنوات الفضائية، وفي كتابي «مع الاثنى عشرية في أصول والفروع - موسوعة شاملة»، فليرجع إليه من شاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



١٦٢٧- عن كعب بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ مِنَ الطَّعَامِ. م(٢٠٣٢)، حم(١٥٧٦٧)، (٢٧٢٣٩)، د(٣٨٤٨)، حب(٥٢٥١).

١٦٢٨- عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أن النبيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وقَالَ: «إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ». م(٢٠٣٣)، حم(١٤٢٢٨)، (١٤٥٥٨)، (١٤٦٣٤)، (١٤٩٤٣)، جه(٣٢٧٠)، (٣٢٧٩)، حب(٥٢٥٣)، ت(١٨٠٢).

١٦٢٩- عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لَعَقَ أصابعه الثلاث، وقال: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ». وأمرنا أن نسلُتَ(١) القصعة، قال: «فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُون في أي طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ». م(٢٠٣٤)، حم(١٢٨١٥)، د(٣٨٤٥)، ن(٦٧٦٥ / ٤- كبرى)، حب (٥٢٤٩)، (٥٢٥٢).

١٦٣٠- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيَّتِهِنَّ الْبَرَكَةُ». م(٢٠٣٥)، حم (٨٥٠٧)، (٩٣٨٠).

١٦٣١- عن عبد الله بن بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال أبي للنبي ﷺ وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لهم فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ». م(٢٠٤٢)، حم(١٧٦٩١)، (١٧٦٩٩)، (١٧٧٠٠)، (١٧٧١١)، د(٢٣٢٩)، ت(٣٥٧٦)، ن(١٠١٢٣، ١٠١٢٤ / ٦- كبرى)، حب (٥٢٩٧)، (٥٢٩٨).

١٦٢- عن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: رَأَيْتُ النبي ﷺ مُقْعِيًا(٢) يَأْكُلُ تَمْرًا. م(٢٠٤٤)، د(٢٧٧١).

١٦٣٣- عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «لاَ يَجُوعُ أَهْلُ بَيْتٍ عِنْدَهُمُ التَّمْرُ». م(٢٠٤٦)، حم(٢٥٥١٣)، (٢٥٦٠٦)، د(٣٨٣٠)، ت(١٨١٥)، جه(٣٣٢٧)، جب (٥٢٠٦).

١٦٣٤- عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ، أَوَّلَ الْبُكْرَةِ». م(٢٠٤٨)، حم(٢٤٥٣٨).

١٦٣٥- عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «نِعْمَ الأُدُمُ، أَوِ الإِدَامُ، الْخَلُّ». م(٢٠٥١)، ت(١٨٤٠)، جه(٣٣١٦).

١٦٣٦- عن جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ سأل أهلَهُ الأُدُم فقالوا: ما عِنْدَنَا إلا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأكلُ به، ويقول: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ، نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ». م(٢٠٥٢)، حم (١٤٢٢٩)، (١٤٢٦٥)، (١٤٨١٣)، (١٤٩٣٠)، (١٤٩٨٩)، (١٤٩٩٢)، (١٥١٨٨)، (١٥١٩٣)، د(٣٨٢١)، ن(٣٨٠٥)، (٦٦٢٨، ٦٦٨٩ / ٤- كبرى)، ت(١٨٣٩).

١٦٣٧- عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أُتِيَ بِطَعَامٍ أَكَلَ مِنْهُ، وَبَعَثَ بفضله إِلَيَّ، وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يومًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكلْ منها لأن فيها ثُومًا، فسألتُهُ: أحرامٌ هو؟ قال: «لاَ، ولكني أكرهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ». م(٢٠٥٣)، حم (٢٣٥٨٤)، (٢٣٥٩٦)، (٢٠٩٥١)، ن(٦٦٣٠ / ٤- كبرى).

١٦٣٨- عن جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ». م(٢٠٥٩)، حم(١٤٢٢٦)، (١٤٣٩٦)، (١٥١٠٦)، ت(١٨٢٠)، ن(٦٧٧٤ / ٤- كبرى)، جه (٣٢٥٤)، حب (٥٢٣٧).

١٦٣٩- عن جابرٍ وابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهم أن رسولَ الله ﷺ قال: «المؤمنُ يَأكلُ في مِعًى واحدٍ، والكافرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ». م(٢٠٦١).

١٦٤٠- عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى عُمَرَ بِجُبَّةِ سُنْدُسٍ، فقال عمرُ: بَعَثْتَ بها إِلَيَّ وقد قلتَ فيها ما قُلْتَ؟ قال: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، وَإِنَّمَا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتَنْتَفِعَ بِثَمَنِهَا». م(٢٠٧٢)، حم (١٢٤٤٤)، (١٢٤٩٨)، (١٢٦٠٥).

١٦٤١- عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ». م(٢٠٧٤).

١٦٤٢- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: رأى رسولُ الله ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فقال: «إنَّ هَذِه مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا». م(٢٠٧٧)، حم(٦٥٢٣)، (٦٩٤٨)، (٦٩٩١)، ن(٥٣٣١)، (٥٣٣٢)، (٩٦٤٧، ٩٦٤٨، ٩٦٤٨ / ٥- كبرى).

١٦٤٣- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ. م(٢٠٨١)، د(٤٠٣٢)، ت(٢٨١٣).

١٦٤٤- عن عَائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: كَانت وِسَادَةُ رسول الله ﷺ التي يَتَّكِئُ عَلَيْهَا مِنْ أَدَمٍ(٣) حَشْوُهَا لِيفٌ. متفق عليه، حم (٢٤٢٦٤)، (٢٤٣٤٧)، (٢٤٨٢٢)، (٢٥٧٨٧)، (٢٥٨٣١)، د(٤١٤٦)، (٤١٤٧)، ت(١٧٦١)، (٢٤٦٩)، جه(٤١٥١).

١٦٤٥- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِه، والثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، والرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ». م(٢٠٨٤)، حم(١٤١٢٦)، (١٤٤٨٢)، د(٤١٤٢)، ن(٣٣٨٥)، (٥٥٧٤ / ٣- كبرى)، حب (٦٧٣).

١٦٤٦- عن ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: مَرَرْتُ على رسول الله ﷺ وفي إزاري اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ الله، ارْفَعْ إِزَارَكَ». فرفعتُه، ثم قال: «زِدْ»، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين. م(٢٠٨٦).

١٦٤٧- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خَاتَمًا من ذَهبٍ في يدِ رَجُلٍ فطرحَهُ وقال: «يَعْمِدُ أحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ». فقيل للرجل: خُذْ خَاتَمَكَ انتفعْ به، قال: لا، والله لا آخُذُهُ أبدًا وقد طَرَحَهُ رسولُ الله ﷺ. م(٢٠٩٠)، حب (١٥)، هق (٢ / ٤٢٤).

١٦٤٨- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ وَرِقٍ وَكَانَ فَصُّهُ حَبَشِيًّا. م (٢٠٩٤)، حم (١٣١٨٢)، د(٤٢١٦)، ت(١٨٣٩)، ن(٥٢١١)، (٥٢١٢)، (٥٢٩٢)، (٥٢٩٤)، (٩٥١٢، ٩٥١٣، ٩٥١٤ / ٥- كبرى)، جه (٣٦٤١)، (٣٦٤٦)، حب(٦٣٩٤).

١٦٤٩- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقولُ في غزوةٍ غزوْناها: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ». م(٢٠٩٦)، ن(٩٨٠٠ / ٥- كبرى)، حب(٥٤٥٨)، (٥٤٥٧)، حم(١٤٦٣٢)، (١٤٦٣٣)، (١٤٨٨٠)، د(٤١٣٣).

١٦٥٠- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: إني أشهد لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا انْقَطَعَ شِسْعُ(٤) أحَدِكُمْ، فَلاَ يَمْشِي في الأُخْرَى حتى يُصْلِحَهَا». م(٢٠٩٨)، حم(٩٤٨٨)، (٩٧٢١)، (١٠١٩٢)، (١٠٨٤٠)، ن(٥٣٨٤)، (٥٣٨٥)، (٩٧٩٦، ٩٧٩٧ / ٥- كبرى)، حب (٥٤٥٩)، جه(٣٦١٧).

١٦٥١- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ نَهَى أن يَأكُلَ الرجلُ بِشِمَاله، أَوْ يَمْشِيَ في نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ كَاشِفًا عَنْ فَرْجِهِ. م(٢٠٩٩)، ط(١٧١١)، حم (١٤١٨٢)، (١٤٢٠٢)، (١٤٧٧٦)، د(٤١٣٧)، (٤٨٦٥)، ت(٢٧٦٧)، ن(٥٣٥٧)، (٩٧٥١، ٩٧٥٤ / ٥- كبرى)، حب (١٢٧٣)، (٥٥٥١)، (٥٥٥٣)، هق (٢ / ٢٢٤).

١٦٥٢- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: أُتِيَ بأبي قُحَافَةَ أو جاءَ عامَ الفَتْحِ، أو يومَ الفَتْحِ، وَرَأسُه وَلِحيتُهُ مِثْلُ الثَّغَامِ أو الثَّغَامَةِ(٥)، فأمرَ، أو فأُمِرَ به إلى نسائه، قال: «غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ». م (٢١٠٢)، حم(١٤٤٠٩)، (١٤٤٦٢)، (١٤٦٤٧)، د(٤٢٠٤)، ن(٥٠٩٢)، (٩٣٤٧ / ٥- كبرى)، جه (٣٦٢٤)، حب (٥٤٧١).

١٦٥٤- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ». م(٢١١٢).

١٦٥٤- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلاَ جَرَسٌ». م(٢١١٣)، حم(٨١٠٣)، (٧٥٦٩)، (٨٣٤٥)، (٩٠٠)، (٩٧٤٤)، (١٠٩٤١)، د(٢٥٥٥)، ت(١٧٠٣)، حب (٤٧٠٣)، هق (٥ / ٢٥٤).

١٦٥٥- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ». م(٢١١٤)، حم (٨٨٦٠)، (٨٧٩١)، د(٢٥٥٦)، حب (٤٧٠٤)، هق (٥ / ٢٥٣).

١٦٥٦- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ في الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ في الوَجْهِ. م(٢١١٦)، حم (١٤٤٣١)، (١٥٠٥٠)، ت(١٧٠)، هق (٥ / ٢٥٥).

الهوامش:

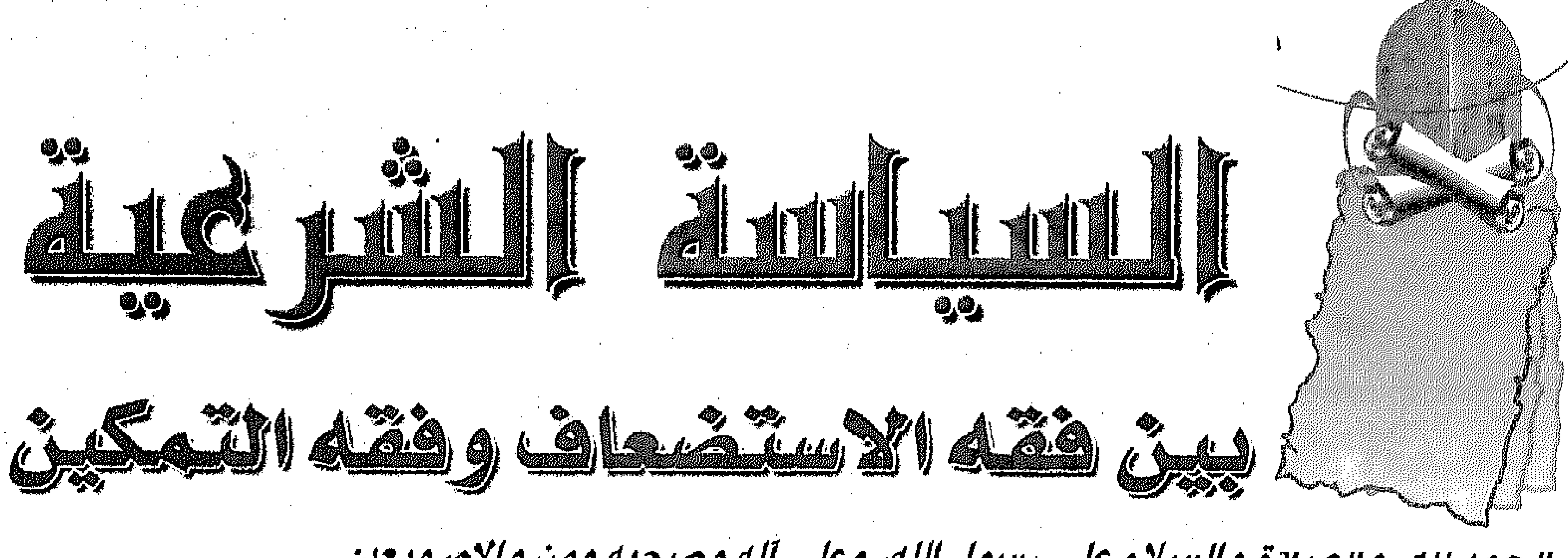
١- نَسَلَتْ: نَمْسَحُ.

٢- مُقْعِيًا: جالسًا على إليتيه ناصبًا ساقيه.

٣- أدم: جلد.

٤- شسْع: أحد سيور النعل الذي يدخل بين الأصبعين.

٥- الثُّغامة: نوع من النبات ورقه أبيض وزهره أبيض.



السياسة الشرعية

بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فما يزال حديثنا موصولاً حول السياسة الشرعية بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي

المحور الثالث: صلاحية الشريعة وتغيُّر الفتوى بتغير الزمان والمكان:

إن من الحقائق المعلومة من دين الإسلام بالضرورة أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيه محمدًا ﷺ ليكون نذيرًا لطائفة من الناس دون سائرهم، ولا ليكون رسولاً لأمة من البشر دون سائر الأمم، وإنما بعثه ليكون بشيرًا ونذيرًا للعالمين أجمعين، بعثه برسالة الإسلام الخالدة إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، قاصيهم ودانيهم، أحمرهم وأسودهم، عربيهم وأعجميهم، شرقيهم وغربيهم، ذلك منذ أن بعثه الله بالحق وإلى قيام الساعة.

وعلى ذلك فمن أنكر هذه الحقيقة وجحدها كان على غير الملة ؛ لأن القرآن الكريم صرَّح بها تصريحًا لا يقبل التأويل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، «ففي هذه الآية الكريمة بيان عموم رسالته ﷺ، وهي عامّة للثقلين كما نطقت به النصوص، حتى صرّحوا بكفر منكره». [روح المعاني للألوسي ٩ / ٨٢].

ومع أن الآية الكريمة خاطبت الناس جميعًا برسالته ﷺ، إلا أنها أكدت بوصف «جميعًا» الدال نصًا على العموم لرفع احتمال التخصيص. [التحرير والتنوير ٥ / ٤٨٤].

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، أي: «وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنّا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا لمن أطاعك، ونذيرًا لمن كذبك». [تفسير الطبري ١٠ / ٣٧٧].

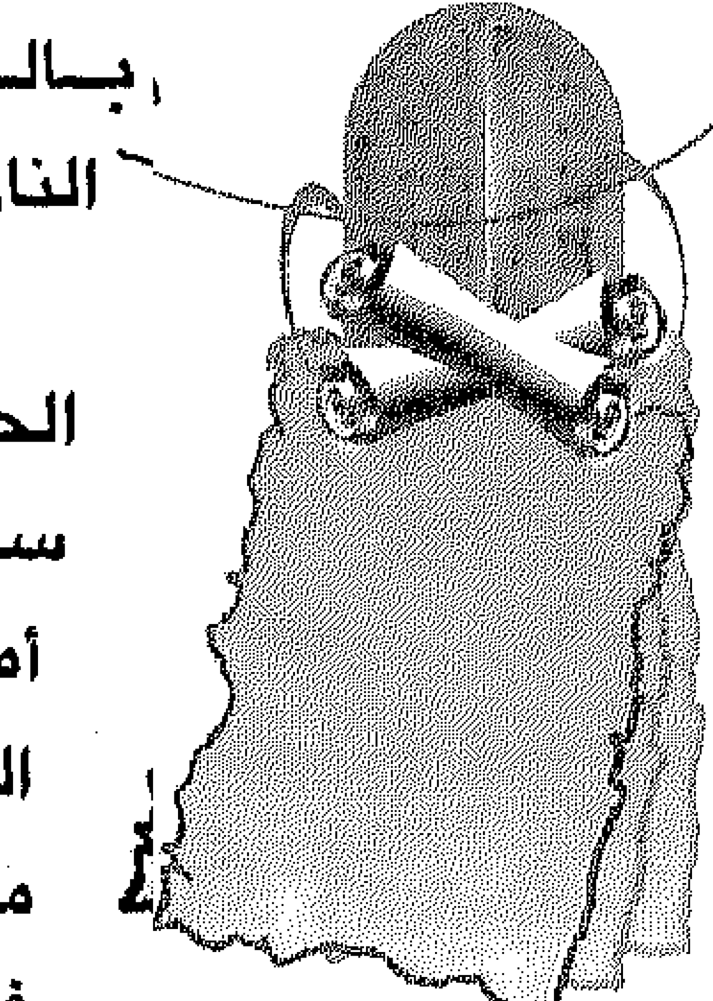
وقال عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: «لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر مَن بلغه القرآن مِن الناس كلهم». [الطبري ٥ / ١٦١].

وقال عن القرآن الكريم نفسه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، أي: «وما محمد إلا ذكر ذكَّر الله به العالمين الثقلين الجن والإنس». [الطبري ٢٢ / ٢٠٤].

أو: «وما القرآن الكريم إلا ذكر للعالمين، ومعناه: شرف. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]». [القرطبي ١٨ / ٢٢٣].

وهذه الحقيقة التي صرّح بها القرآن الكريم أكدتها السنة المطهرة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي؛ نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». [البخاري: ٣٣٥، ومسلم: ٥٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن



بالذي أرسلت به إلا دخل النار». [مسلم: ١٥٣].

والمراد بالأمة في هذا الحديث عموم أهل الدعوة سواء من دخل فيهم في أمة محمد ﷺ بالمعنى الخاص فصار مسلمًا، أو من بقي منهم على كفره فكان من أمته بالمعنى العام أي: من عموم من بعث إليهم وأمر بدعوتهم وهم الناس جميعًا بعد بعثته ﷺ، وذلك بدليل ذكره لليهود والنصارى.

وإلى جانب هذه الحقيقة الراسية الراسخة حقيقة أخرى لا تقل عنها رسوًا ورسوخًا، وهي أن رسول الله محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، فلا نبي بعده، ولا رسول، وأن رسالته خالدة باقية إلى يوم الدِّين، فلا نسخ لها ولا زوال.

وهي أيضًا حقيقة معلومة من دين الله بالضرورة، لا ينكرها إلا من كفر بالرحمن وكُتب عليه الخذلان، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي: «وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة». [تفسير الطبري ١٠ / ٣٠٥].

فهذه الآية الكريمة «نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ». [تفسير ابن كثير ٣ / ٦٥٠].

من هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». [البخاري: ٣٥٣٥، ومسلم ٢٢٨٦].

هاتان الحقيقتان الراسيتان الراسختان مقدمتان لحقيقة كبرى وهي: «صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان» ؛ لأننا لو لم نقل بذلك - مع كون رسالة الإسلام رسالة عالمية خاتمة للرسالات - للزم منه أن يكون الله عز وجل قد أجاز للبشر أن يشرعوا لأنفسهم في كل زمان ما يصلح لهم، وهذا أبطل الباطل، وبطلانه معلوم من دين الله بالضرورة، كما أن حاكمية الله وانفراده بالسلطان على عباده وتفرده بحق التشريع معلوم من دين الله بالضرورة، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، فالذي له الخلق هو وحده الذي يملك الأمر والنهي والتحليل والتحريم والتشريع والحكم، فما من شيء في حياة البشر مهما كان صغيرًا إلا ولله فيه حُكم، فيجب عليهم أن يردوا كل أمر يختلفون فيه إلى حكم الله وحده، وهذا أمر لا يخالف فيه إلا من لا حظ له من الإسلام.

فـ «الشريعة الإسلامية» صالحة لكل زمان ومكان، ومُصلحة لكل زمان ومكان، بل لا يكفي أن نقول هذا حتى نرفع احتمال المشاركة بأن نقول: إنها هي وحدها الصَّالِحَةُ والمُصْلِحَةُ لكل زمان ومكان، وكل ما سبق أن قررناه من مقدمات وحقائق راسخة يدل على هذا دلالة قاطعة.

وهذا الوصف للشريعة الإسلامية يضم أوصافًا تعد من مفرداته ومن ضروراته، هذه الأوصاف هي:

١- العموم: بمعنى كونها عامة للناس أجمعين، وهذا الوصف مُستفاد من النصوص الدالة على عموم رسالة النبي محمد ﷺ، وقد سبق إيرادها.

٢- البقاء: بمعنى أنها لا تأتي بعدها شريعة إلهية تنسخها، وهذا الوصف مستفاد من النصوص الدالة على أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وأن رسالته خاتمة الرسالات، وقد سقناها من قبل.

٣- الحفظ: بمعنى أن الله عز وجل تولى حفظ أصولها من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أي: «وإنَّا للقرآن الكريم لحافظون من أن يُزاد فيه ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه». [تفسير الطبري ٤ / ٤٩٣].

وقال عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، قال الزجاج: «معناه أنه

محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه». [تفسير البغوي ١ / ١٧٦].

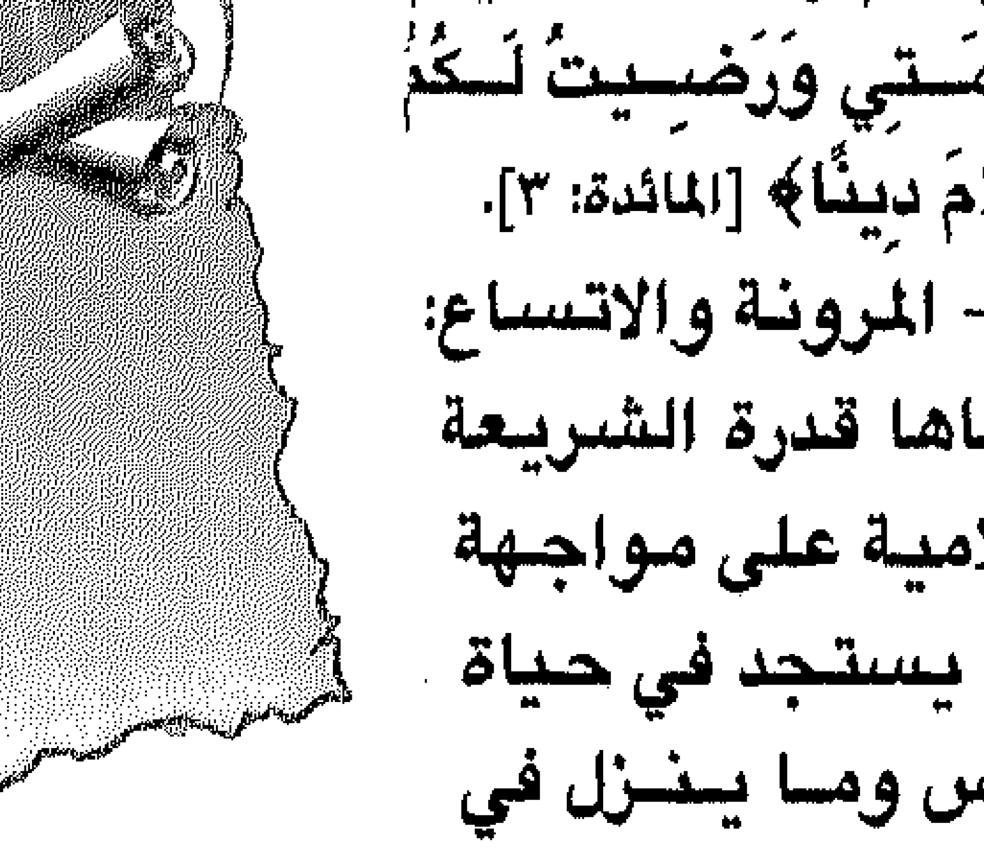
وما ينطبق على القرآن الكريم ينطبق على السنة؛ لأنها بيان للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فحفظ القرآن الكريم يستلزم حفظ السنة، بل وحفظ اللسان العربي أيضًا، يقول المعلمي: «فأما السنة فقد تكفل الله بحفظها أيضًا ؛ لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، وحفظ لسانه وهو العربية، إذ المقصود بقاء الحجة قائمة والهداية باقية، بحيث ينالها من يطلبها ؛ لأن محمدًا خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، بل دلّ على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]، فحفظ الله السنة في قلوب الصحابة والتابعين حتى دوّنت». [الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة ص٣٣].

٤- الشمول: وهو غير العموم، فهو بمعنى أن أحكام الشريعة شاملة ومستغرقة ومستوعبة لكل أحوال البشر، وحاكمة على كل ما يستجد في حياتهم إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، أي: «تبيانًا لكل ما بالناس إليه حاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب». [تفسير الطبري ٧ / ٦٣٣].

وهذا التبيان قد يكون بالتفصيل وقد يكون بالإجمال، وقد يكون بالإحالة على السنة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وقد يكون بإثارة القياس وتعدية حكم ما ذكر إلى ما لم يذكر كقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، فلا يلزم من بيانه لكل شيء أن يحمل بين دفتيه كل الأحكام بالتفصيل.

يقول الزمخشري في الكشاف: «فإن قلت: كيف كان القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء ؟ قلت: المعنى أنه بيّن كل شيء من أمور الدين: حيث كان نصًا على بعضها، وإحالة على السنة.. وحثًا على الإجماع». [الكشاف للزمخشري ١ / ٦٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي: «ما تركنا في القرآن الكريم من شيء من أمر الدين إما تفصيلاً أو إجمالاً». وقال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].



٥- المرونة والاتساع: ومعناها قدرة الشريعة الإسلامية على مواجهة كل ما يستجد في حياة الناس وما ينزل في دنياهم، وعلى الاستجابة لكل ما يتغير في أمورهم وأحوالهم بتغير أزمانهم، وعلى تلبية كل احتياجاتهم مهما تبدلت بتبدل ظروفهم، وذلك كله دون أن تتبدل أصولها أو تنسخ أحكامها أو تزيف مبادئها أو تزعزع ثوابتها أو يُرجع على شيء منها بالإبطال أو التعطيل.

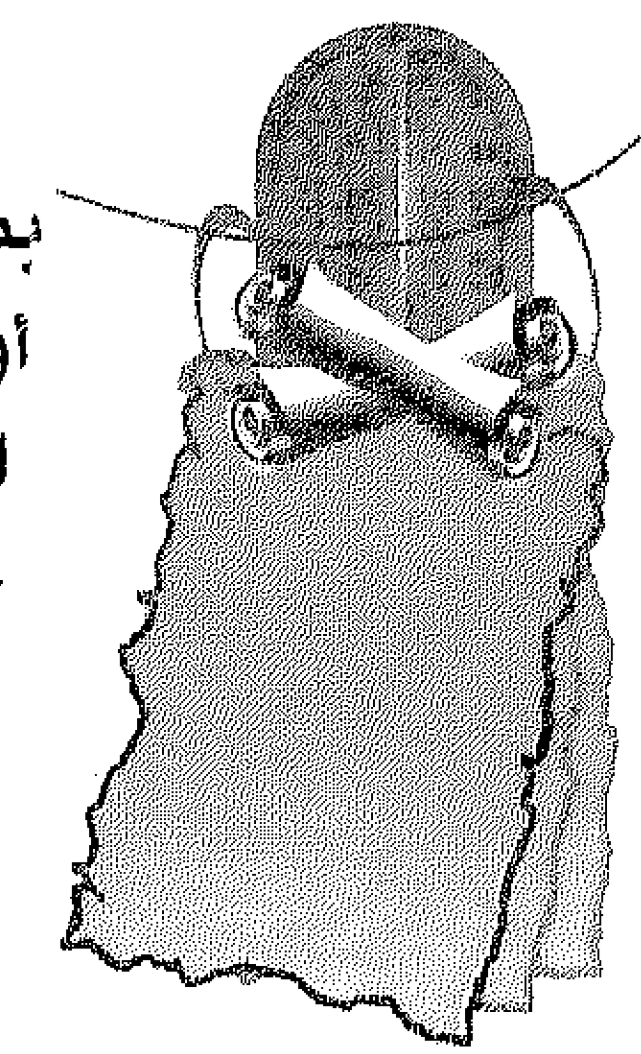
وهذه الصفة الأخيرة «المرونة والاتساع» لها آليات عدة، تضمن تحقيقها وتطبيقها والانتفاع بثمراتها دون الرجوع على النصوص المحكمة بالتعطيل أو على الأصول والثوابت الراسية بالتبديل، أو الأحكام الثابتة بالنسخ أو التأويل.

من هذه الآليات: «تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان». وهي التي عبر عنها العلماء – على سبيل التسهيل في الاصطلاح – بقولهم: «لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان».

التغير لغة: التبدل والتحول والانتقال، نقول: تغير الشيء: أي تحوّل، وغيّره: جعله غير ما كان، وغيّره: حوله وبدله، وغيرت الشيء: بدلته، وغيرت دابتي وثيابي: أي: جعلتها على غير ما كان، وغيرت داري: بنيتها بناء غير الذي كان. [المعجم الوسيط ص٦٦٨].

ومعنى تغير الفتوى في الاصطلاح الشرعي لا يبعد عن المعنى اللغوي السابق، فهو: التحول والانتقال – عند الإفتاء في مسألة – من حكم سابق كان مناسبًا لها في وقت أو حال إلى حكم آخر لتبدل الوقت أو الحال.

والأفضل ألا يعبر عنه بلفظ: «تغيير» ؛ لأن كلمة «تغيير» تستعمل كثيرًا بمعنى الإزالة والرفع، و«تغير الفتيا» ليس فيه إزالة ولا رفع، بل هو مجرد انتقال وتحول من حُكم إلى حُكم، مع بقاء الحكم ذاته.



وكذلك التعبير عنه بمصطلح «تغير الأحكام» أو بقاعدة: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» فيه - أيضًا - قدر من المسامحة ؛ لأن الذي يتغير هو الفُتيا، أما الأحكام فلا تتغير ولا تتبدل، فالحكم الشرعي - كما سبق - هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييرًا أو وضعًا، والقول بإمكانية تغير الحكم الشرعي مكافئ للقول بإمكانية تغيير خطاب الله تعالى، وقد تُوعِّد المبدلون لأحكام الله المغيِّرون لشرعه بالإبعاد والهلاك يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح: «ألا ليُذادنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذاد البعير الضال، أناديهم ألا هَلُمَّ، فيُقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سُحقًا سُحقًا». [البخاري ٢٣٦٧، ومسلم ٢٤٩، وهذا لفظه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

تغير الفتوى في الواقع المعاصر

بعد فترة طويلة من الجمود الفكري والفقهي، ومن غلق باب الاجتهاد بدأ البعث يدب من جديد في الحياة الفقهية المعاصرة، وذلك بعد ظهور حركات تجديدية ودعوات إصلاحية؛ أدت إلى فتح باب الاجتهاد ونبذ التعصب للمذاهب وإحياء الفقه المقارن، وكان من أعظم ما وصل إليه الفقه المعاصر مؤسسات الاجتهاد الجماعي، مثل: «مجمع البحوث الإسلامية» بالقاهرة، و«مجمع الفقه الإسلامي» المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي ومقره الرئيسي جدة، و«المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي» بمكة المكرمة.

ومع انطلاقة الاجتهاد والتجديد بدأت من جديد تظهر ظاهرة تغير الفتوى، وكان لها أمثلة كثيرة في واقع الأمة الإسلامية.

المثال الأول: الحقوق المالية للتأليف والتصنيف، فقد اتجه الفقه المعاصر إلى اعتبار المؤلف هو الأحق بطبعه ونشره، وهو الذي يملك أن يبيع هذا الحق وأن يجني ثمرته المالية، ولم يكن هذا موجودًا من قبل، بل كان الاحتساب هو السائد، ولكن ظهر للفقهاء المعاصرين وللمجامع والمؤسسات الفقهية أن المصلحة تقتضي الاعتراف بالحقوق المالية للتأليف وحفظها بالأحكام الشرعية.

المثال الثاني: ترجح القول بوجوب إخراج الزكاة في الخضر والفاكهة، وقد كان المذهب الراجح فيما مضى هو أن الخضر والفاكهة وما شابهها لا زكاة فيها، ولكن تغير الحال في الزمن الحاضر أدى إلى تغير الفُتيا، فإن الخضر والفاكهة لم تكن في الماضي تمثل مصدر إنتاج وتنمية واستثمار، أما في العصر الحاضر فصارت من أكبر مشاريع التنمية والاستثمار في كثير من البلدان، فقد يزرع المستثمر آلاف أو مئات الأفدنة خضروات وفواكه ويربح من ورائها أموالاً طائلة، فهل يعفى من زكاة الزرع أو يكتفي في حقه بإخراج زكاة المال (٢,٥٪) على الحول الكامل، بينما صاحب المساحات الزراعية الصغيرة من المحاصيل التي تقتات وتدخر كالقمح يخرج (٥٪) عند كل حصاد؟!

ثُم إن القول بذلك يفضي في الواقع المعاصر إلى التهرب من زكاة الزرع والثمر بترك الزروع التي تجب فيها الزكاة وتوسيع الأنشطة فيما ليس فيه زكاة؛ مما يترتب عليه ضياع حقوق الفقراء والمساكين، واختلال الموازين الإنتاجية وفساد الأخلاق.

لذلك عمد كثير من الفقهاء المعاصرين إلى تغيير الفتوى في هذه المسألة، ورجحوا القول بوجوب زكاة الزرع في الخضر والفاكهة ؛ سدًا لذريعة التهرب من الزكاة، وحفاظًا على حقوق الفقراء والمساكين.

المثال الثالث: إفتاء العلماء المعاصرين بجواز توزيع لحوم الهدي خارج مكة، بل خارج الجزيرة العربية كلها، وذلك لظهور المصلحة في ذلك ؛ حيث إن أهل مكة لا يأكلون هذه الذبائح، وهي تزيد عن حاجة الحجيج، فيؤدي القول بعدم إخراجها من مكة إلى فسادها وتعفنها وحدوث مفاسد التلوث مع ضياع مصلحة انتفاع المسلمين بها، وهذا تغير للفُتيا في ضوء تغير المصلحة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

سورة آل عمران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إعداد/ مصطفى البصراتي

فحديثنا بإذن الله تعالى في هذا العدد يدور حول الآيتين الكريمتين الأربعين والواحدة والأربعين من سورة آل عمران، وهما متصلتان بالآيات السابقة، وذلك لتتم الفائدة، ولما بينهما من قوة الارتباط.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ أي: كيف أو من أين، ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾، أي: أدركني الكبر الكامل المانع من الولادة فأضعفني، ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، أي ذات عقر، وهو في المعنى مفعول أي معقورة وهي من الصفات الخاصة بالنساء.

فإن قيل: لما كان زكريا، هو الذي سأل الولد ثم أجابه الله تعالى إلى ذلك، فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ من أين يحصل لي غلام؟ فالجواب على ما في الكشاف أن الاستبعاد إنما جاء من حيث العادة. وقيل: إنه دهش من شدة الفرح، فسبق لسانه. ونقل عن سفيان بن عيينة أن دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة، فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة، فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة، أو تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة.

وقول زكريا عليه السلام: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ يعني: كيف ؟ ليس استبعادًا ولا استكبارًا، ولكن تثبتًا، وإلا فإنا نعلم أن زكريا عليه السلام قد آمن بما بشره الله به، ولا يمكن أن يستبعده، ولكنه قال ذلك من أجل التثبت، ذلك أن الإنسان ناقص في الإدراك والعلم، ويحتاج إلى شيء يثبت به الأمور.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لا شك أنه يؤمن إيمانًا كاملاً بأن الله تعالى يحيي الموتى، ومع ذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، لأنه ليس الخبر كالمعاينة.

وقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، قال: «غلام» مع أنه لم يولد بعد، لكن هذا باعتبار ما سيكون، والتعبير بما سيكون أمرٌ سائغ في اللغة وارد في القرآن، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، يعني: أعصر عنبًا يكون خمرًا، لأن الخمر لا يُعصر، فعبَّر عن الشيء بما يؤول إليه.

ثم قال: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾: الواو هذه يسميها العلماء واو الحال، يعني: أنها تدل على أن الجملة التي بعدها في موضع نصب على الحال، يعني والحال أنه قد بلغني الكبر، فهي حال من الياء في قوله: «لي».

﴿بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ يعني: وصل إليَّ الكبرُ، والحقيقة أنه قد يتراءى للإنسان أن في المعنى قلبًا، هل الكبر بلغك أو أنت بلغت الكبر؟ قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، فصار هو الذي بلغ الكبر.

وهنا يقول: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ إذن فالتعبير صحيح في هذا وهذا، فأنت إذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر، وإذا بلغك الكبر فقد بلغته، ﴿وَقَدْ

﴿بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ يعني أصابني، وعادة أن الكبير إذا لم يولد له في سن الشباب فإنه لن يرى الأولاد، لأن الإنجاب والإخصاب إنما يكون في حال الشباب، وكلما تقدمت السن بالإنسان من رجل أو امرأة قلَّ انجابه، فيقول: كيف لما كنت شابًا لا يأيتني ولد والآن يأتيني الولد.

قوله: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، امرأته عاقر: يعني لا تحمل، وعاقر لفظه مذكر، لكن معناها هنا مؤنث، وتطلق على الذكر والأنثى، يُقال: رجل عاقر، وامرأة عاقر، وهو الذي لا يُولد له، فالآن كل من الزوجين ليس بصدد الولادة، ولكن الله على كل شيء قدير، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، فكل ما شاءه فعله، لأنه عز وجل لا يمنعه مانع كما نقول نحن في دبر كل صلاة: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت». [رواه البخاري].

فالله عز وجل يفعل ما يشاء ؛ لأن له الملك المطلق في خلقه، فلا أحد يمنعه، ولا أحد يسأله لِمَ فعلت ؟ ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

فلما أيقن بأن الله تعالى سيهب له الولد، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، أي: صير لي علامة تدل على هذا الولد، وأنه بدأ ينشأ ليزداد طمأنينة فيما بشره الله به.

والآية في اللغة: العلامة، وآيات الله عز وجل كونية وشرعية، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أُيدوا بالآيات الدالة على صدقهم، الآيات الكونية والآيات الشرعية، وكثير من الناس يسمي آيات الأنبياء معجزات، وهذه التسمية وإن اشتهرت على الألسن لكن فيها قصورًا، والتعبير الصحيح السليم أن نسميها آيات كما سماها الله تعالى، نسمي ما يحصل من خوارق العادات على أيدي الأنبياء، نسميها آيات، ولهذا لا نجد آية في القرآن سمى الله فيها هذه الخوارق معجزات أبدًا، بل كان يسميها آيات.

والمعجزات لو أخذناها على ظاهرها لشملت ما يأتي به السحرة وما تأتي به الجن ؛ لأن ما يأتي به السحرة أو الجن معجز.

قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ يعني: الآية التي تدلك، فأضافها إلى زكريا مع أنه ليس هو الذي أوجدها، لكن لأنها علامة له.

﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ آيتك: يعني العلامة التي أعطيك إياها ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا، يعني لا تخاطبهم إلا رمزًا ثلاثة أيام بلياليها ؛ بدليل قوله تعالى في سورة مريم: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

وقوله: «إلا رمزًا» إلا: هذه أداة استثناء. ورمزًا: أي إشارة بيد أو رأس أو بالشفتين أو بالعينين ونحوها، فهو لن يستطيع أن ينطق بلسانه مع الناس، ولكن يشير إليهم إشارة، ووجه كون هذه آية: أنه عجز عن النطق مع أنه سليم، وأنه عجز عن النطق مع الناس لا مع الله، وهذا الشيء غريب، يعني إنسان يتكلم يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لم تأته آفة ولا علة في لسانه، ثم لا يستطيع أن يكلم الناس، هذه آية.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾: أمره الله تعالى بأن يذكر ربه كثيرًا ؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ويزداد الإيمان ويستنير القلب، فلهذا أمره الله أن يذكر ربه كثيرًا، وفائدة الأمر بالذكر كثيرًا ؛ أن الله لما أخبره بأنه سيمنعه من مكالمة الناس، بشَّره بأنه لن يمتنع من ذكر الله الذي هو أجل وأشرف من مخاطبة الناس وكلامهم، فأراد الله تعالى أن يسري عنه وأن يذهب عنه ما قد يقع في قلبه، فقال له: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾، وهنا لم يقل له: وإنك ستذكر ربك، بل قال: واذكر ربك، فأمره بذكر الله ليكون ذكره لله تعالى في حال امتناع مكالمة الناس عبادة خاصة مأمورًا بها.

﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ العشي: آخر النهار، والإبكار: أول النهار، وهذان الوقتان قد أمر الله بذكره فيهما فقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، وهنا قال: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾، والآيات في هذا كثيرة، لأن في

الإشراق مستقبل النهار، وفي العشي مستدبر النهار، فيكون الإنسان شاغلاً وقته أوله وآخره بذكر الله.

قال ابن عثيمين رحمه الله: والعشي يبتدئ من زوال الشمس بدليل حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي وهي: إما الظهر وإما العصر، وقيل: العشي ما بعد صلاة العصر إلى منتصف الليل، ولكن الأول أصح، نعم المساء يطلق من صلاة العصر إلى منتصف الليل، وأما العشي فهو آخر النهار.

وقوله تعالى: «والإبكار»: الإبكار ليست جمعًا لبكر، لأن جمع بكر أبكار، كسبب وأسباب، لكنها مصدر أو اسم لهذا الوقت المعين الذي هو أول النهار، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يشمل تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق به.

من فوائد الآيتين الكريمتين:

من فوائد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

١- أنه لا حرج على الإنسان في طلب ما تطمئن به نفسه ؛ لأن زكريا عليه السلام لم يشك في خبر الله، لكن أراد أن يتقدم إليه الفرح والاستبشار بقوة البراهين، وخبر الله لا شك أنه برهان، لكن كلما ازدادت البراهين ازدادت قوة اليقين.

٢- جواز وصف الإنسان بما يكره إذا كان المراد مجرد البيان لا القدح والعيب ؛ لقوله: ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، ونظيره أن رسول الله ﷺ قال: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه». وهذا من باب المشورة، ولكن لم يقصد الرسول ﷺ أن يعيب الرجل، بل قصد أن يبين حاله ليكون الإنسان على بصيرة.

٣- إطلاق الجمع على الواحد، على أن قوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يدل على أن القائل واحد، وأن قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، يعني واحد منهم.

٤- إثبات المشيئة لله عز وجل ؛ لقوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾، وهي مقرونة بالحكمة ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

من فوائد قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

١- جواز البحث عما يزيد به الإيمان، وإن كان الإيمان موجودًا، بل قد نقول: وجوب البحث عما يزيد به الإيمان ؛ لأن الإنسان مطلوب منه أن يقوي إيمانه بكل وسيلة.

٢- تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بخوارق العادات، فإن كون زكريا عليه السلام لا يكلم الناس إلا رمزًا، لكن في باب التسبيح ينطلق لسانه، هذا من آيات الله، ولهذا قال: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

٣- أن الآية قد تكون على عكس ما طلبت له، فهي قد طلبت لتحقق الوجود فيما بشر به، والآية كانت على العكس، كانت إعدام موجود وهو الكلام.

٤- أن الإشارة تقوم مقام العبارة ؛ لقوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

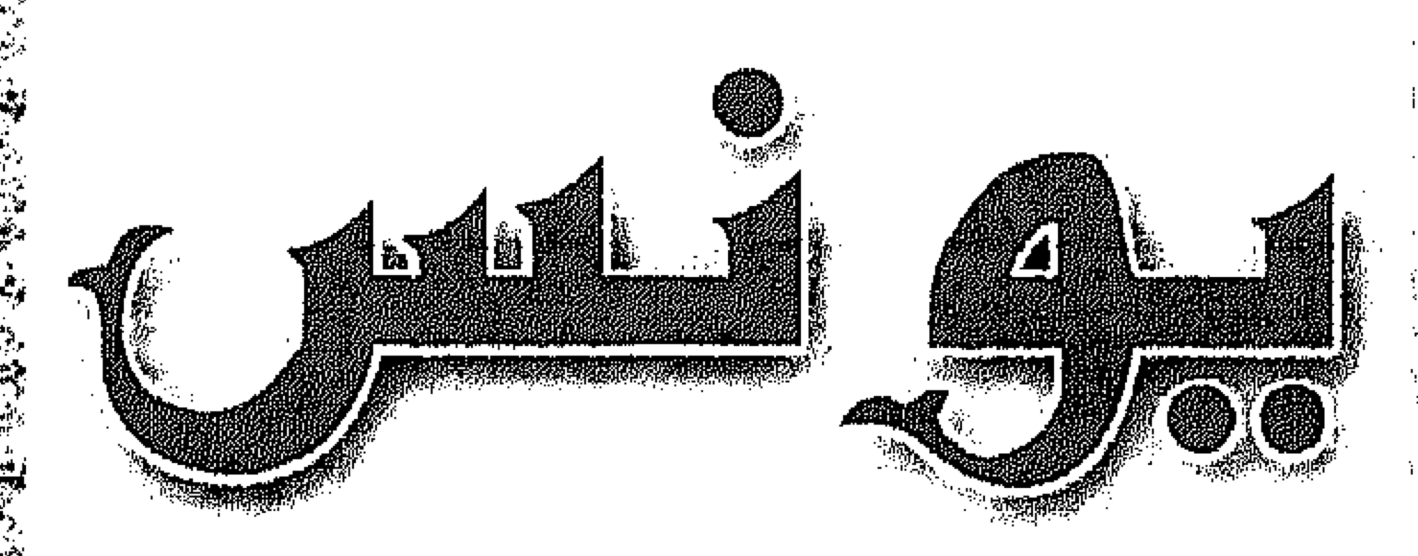
وهذه الفائدة مبنية على أن الإشارة تقوم مقام العبارة عند العجز عن التعبير، ووجه المأخذ أن الاستثناء هنا منقطع، فلا يكون كلامًا لكنه يقوم مقامه عند العجز، وكلا الأمرين حق، فالإشارة تقوم مقام العبارة في الإفهام، ولا سيما عند العجز.

٥- أن الإنسان ينبغي له إذا انقطع عن الناس أن يشغل وقته بذكر الله عز وجل ؛ لأنه لما منع من الكلام مع الناس وصار لا يكلمهم إلا رمزًا، ومعلوم أن الإنسان الذي لا يكلم الناس إلا رمزًا سوف لا يكون حريصًا على مكالمتهم لئلا يتعب أو يُتعب، أمره الله فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

٦- فضيلة التسبيح والذكر في هذين الوقتين العشي آخر النهار والإبكار أول النهار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

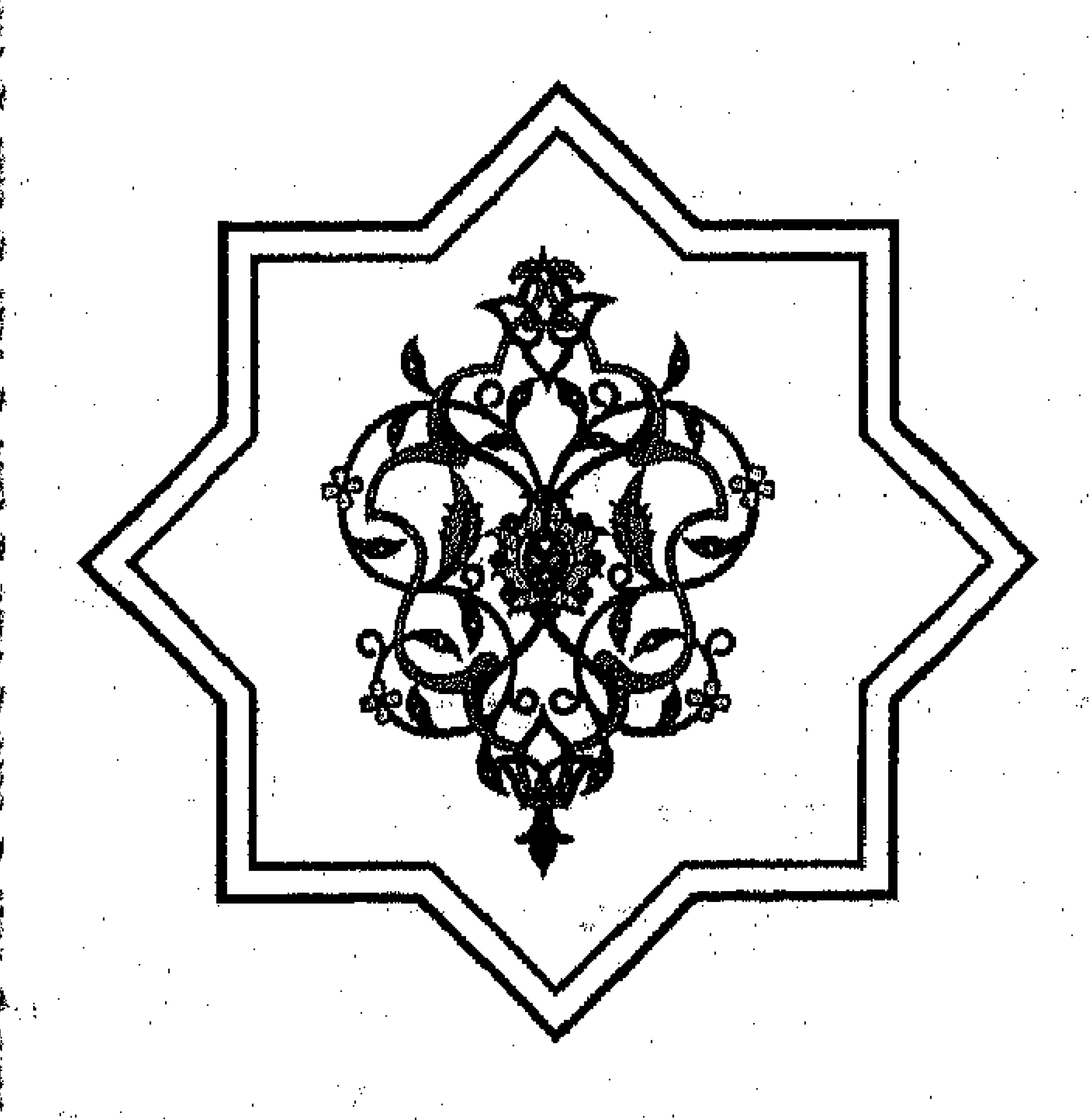
القصة في كتاب الله



«عليه السلام»

وإن يونس لمن المرسلين

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، محمد النبي الأمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وبعد:

ما نزال على عهدنا نتدارس سويًا قصص أنبياء بني إسرائيل، ووصل بنا المسير إلى نبي الله يونس - عليه السلام - أو ذي النون، أو صاحب الحوت، كما وصفه القرآن الكريم.

وقد جاء ذكره باسمه في كتاب الله في أربعة مواضع في سور «النساء، والأنعام، ويونس، والصافات»، وجاء ذكره بوصفه في موضعين في سورتي «الأنبياء، والقلم».

وقد سمّى اللهُ سورة في القرآن باسم هذا النبي الكريم، وهو بذلك يُعدُّ من القلائل الذين سميت بأسمائهم السور مثل: نوح، وإبراهيم، ومحمد، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

وسنأتي للكلام على ذلك مفصلاً - إن شاء الله-.

وقد أرسله الله إلى قرية عظيمة وشعب كبير، فمائة ألف في ذلك الوقت عدد كبير جدًا.

اسمه ونسبه: لم يذكر المؤرخون نسبًا مفصلاً ليونس عليه السلام، وإنما اتفقوا على أن اسمه يونس بن متى، واختلفوا في «متى» هل هي أمه أو أبوه، والصحيح أنه نسبه لأبيه، وقد رجَّح ذلك ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ؛ لصحة الحديث الوارد في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسيأتي.

كما اتفق المؤرخون كذلك على أنه من أنبياء بني إسرائيل، ويعود نسبه إلى «بنيامين» ابن يعقوب - عليه السلام -، ومولده في الشام، ويُعْرف بـ «يونان بن أمتاي».

بين يدي القصة

أصدقكم القول أني حين كنت أجمع خيوط هذه القصة وأعود إلى مراجعتها في مظانِّها في كتب التفسير والتاريخ، وجدتُ عجبًا، وليس العجب في قصة يونس - عليه السلام - مع الحوت، وهي حقًا عجيبة - وسيأتي الحديث عنها-، ولكن العجب كلُّ العجب فيما لاكتْهُ ألسنة المتخرِّصين

وفيما افتراه الكذبةُ المضللّون حول قصة هذا النبي الكريم «يونس بن متى»، عليه السلام.

وهنا أدركت سرَّ اهتمام القرآن بذكر نبأ يونس عليه السلام بالتوكيد الجازم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] عند الحديث عنه في سورة الصافات، وكذلك من تسمية سورة باسمه؛ ألا وهي سورة «يونس»، مع أن السورة على طولها لم تتحدث عن يونس - عليه السلام -، بل تحدثت عن قومه وعن سبب نجاتهم من عذاب الله في آية واحدة، وقد ذكر القرآن الكريم يونس عليه السلام في مصافِّ الصفوة المختارة من الأنبياء والمرسلين الذين يجب علينا الإيمان بهم على التعيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وكذلك أدركتُ سرَّ قول النبيِّ محمد ﷺ الصحيح: «لا يقولن أحدكم إني خيرٌ من يونس». وفي رواية: «يونس بن متى». (البخاري ٣٤١٢).

وفي رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال ﷺ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى». ونسبه إلى أبيه. (البخاري ٣٤١٣).

وسرُّ ذلك - واللهُ أعلم - هو تأكيد براءة يونس عليه السلام مما توهمه المتوهمون وحرَّفه المحرِّفون وتخرصَّه المتخرصون، وأكثر ما وقع ذلك عند أهل الكتاب وعند الرافضة، عليهم من الله ما يستحقون، وللأسف قد تأثر كثير من المفسرين والمؤرخين - مع مكانتهم(١)- ببعض الآثار الواردة عن طريق أهل الكتاب - مع منافاتها لمقام النبوة الكريم.

يونس عليه السلام عند أهل الكتاب

وكما ذكرنا من قبل اسمه عندهم «يونان بن أمتاي»، جاء في التوراة (العهد القديم في سفر يونان):

١- (يونان يعصي الرب): «كانت كلمة الرب إلى يونان بن أمتاي قال: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد بأن شرورها صعدت إليَّ. فقام يونان وذهب، لا إلى نينوى، بل إلى مدينة ترشيش هربًا من وجه الرب، فنزل إلى يافا، فوجد سفينة سائرة إلى ترشيش، فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب مع ملاحيها إلى هناك بعيدًا عن وجه الرب»(٢).

وذكَرَ النص بعد ذلك ما حدث في السفينة، ودعاء يونس عليه السلام، ثم عودته إلى قومه بحسب الرواية الواردة في العهد القديم.

لكن بتأمل يسير في هذا النَّص المذكور نجد أن يونس عليه السلام لا يعرف ربَّه، وأنه أجهل من طفل صغير بربه؛ إذن فكيف يهرب من وجهه كما يدعي النص؟ وكيف يخالف نبيٌّ مرسل أمر ربه بالذهاب إلى الشرق فيذهب إلى الغرب، أو أن يونس كما قال بعضهم كان وطنيًا فلم يقبل أن يذهب لدعوة مشركين - بزعمهم -!!

ما هذه الأفهام السقيمة والعقول القاصرة؟ إنه الهوى والتحريف الذي وقع فيه القوم.

ومثله تمامًا ما وقع فيه الرافضة، حيث استنبط كبيرهم في بحاره أمورًا عجيبة من قصة يونس ؛ منها توكيد غيبة الإمام المنتظر حيث سمى الفترة التي قضاها يونس في بطن الحوت غيبة، وقاس عليها غيبة الوصي المنتظر بغضِّ النظر عن قصر أو طول المدتين !!

نعم هذا الضلال موجود في كتابهم الموسوم بـ «بحار الأنوار»، ويروجون له، وهو أكبر مرجع عندهم، ولا أظنه إلا بحار الظلمات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما ورد فيه أيضًا أن يونس عليه السلام إنما ابتلعه الحوت عقوبة له لأنه رفض البيعة لأئمتهم المزعومين، ولولا خشية الإطالة لأوردت لكم النص كاملاً كما أورده صاحب «بحار الأنوار» برقم (٦١/ ٥٢).

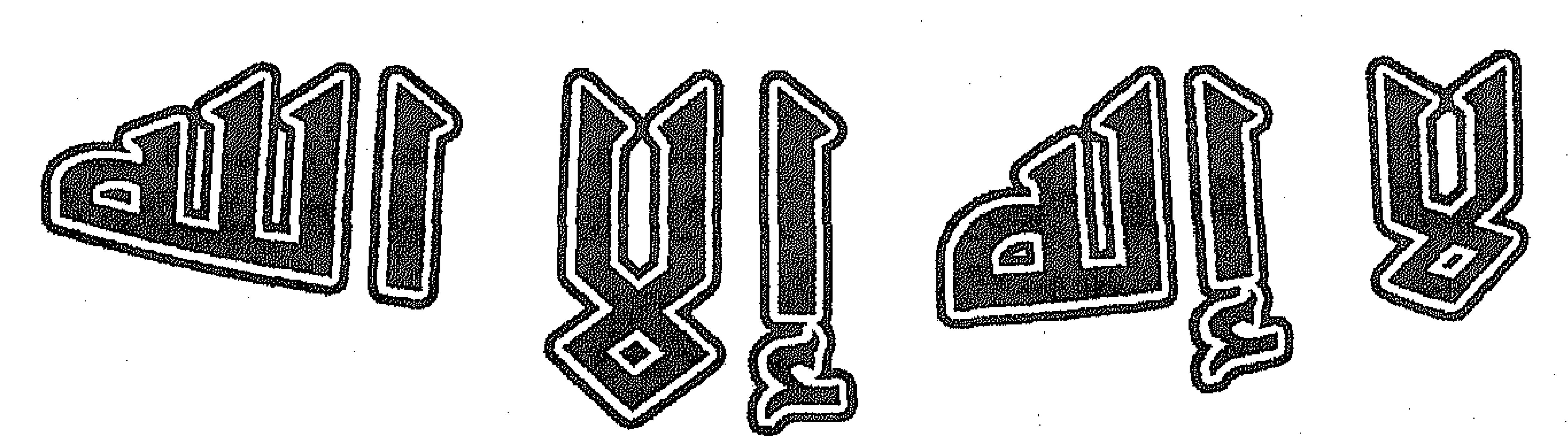
وقد تعمدت أن أذكر لكم هذا الباطل أولاً، ثم أذكر لكم الحقائق القرآنية من باب: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

فإلى الحق إن شاء الله وعلى الحق نلتقي، بإذن الله تعالى.

هوامش

١- منهم صاحب «التحرير والتنوير» عندما تعرض للقصة في سورة الصافات.

٢- العهد القديم - الإصدار الثاني ١٩٩٥، الطبعة الرابعة، عن جمعية الكتاب المقدس في لبنان.



إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كلمة «لا إله إلا الله» تعني: أنه لا معبود بحق إلا الله.

وهي كلمة جليلة القدر، عظيمة الشان، ولها فضائل كثيرة ذكرها أهل العلم، سوف نتحدث عنها بإيجاز، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- كلمة التوحيد هي أفضل ما قاله النبيون:

روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خيرُ الدعاء: دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

[صحيح الترمذي ٢٨٣٨].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أفضلُ الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله». [صحيح ابن ماجه ٣٠٦٥].

٢- « لا إله إلا الله » من أجلها خلق الله الخلق

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

٣- من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

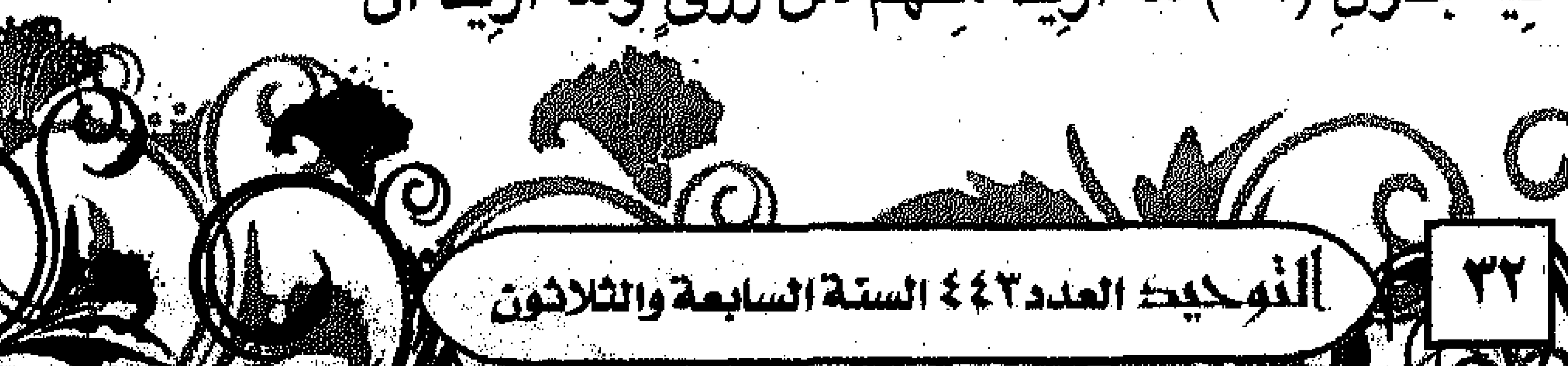
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: كل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له. [تفسير ابن كثير ٩ / ٣٩٨].

٤- التوحيد هو أول ما يجب معرفته

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». [البخاري ١٤٩٦].

٥- لا إله إلا الله هي كلمة التقوى

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: لا إله إلا الله. [صحيح الترمذي ٢٦٠٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي رأس كل تقوى. [تفسير الطبري ٢٦ / ١٠٥].

٦- لا إله إلا الله هي الكلمة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هو المؤمن، يقول: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يُرفعُ بها عمل المؤمن إلى السماء. [تفسير الطبري ١٣ / ٢٠٣].

٧- لا إله إلا الله تضمن العز والتمكين لأهلها في الدنيا والفلاح في الآخرة

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

٨- من أجل لا إله إلا الله فرض الله الجهاد

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

٩- لا إله إلا الله تعصم الدماء والأموال والأعراض

عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله، حَرُمَ مَالُهُ ودمه وحسابه على الله». [مسلم ٢٣].

وقد كان النبي ﷺ يعرف المنافقين وسماهم لحذيفة بن اليمان، ولكن لما قالوا كلمة التوحيد،



عصم النبي ﷺ أنفسهم وأموالهم وترك حسابهم لله تعالى.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناهُ قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنتُهُ برمحي حتى قتلتُه، فلما بلغ النبي ﷺ، فقال: يا أسامة، أقتلتهُ بعدما قال: لا إله إلا الله ؟ قلت: كان متعوذًا، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم». [البخاري ٤٢٦٩].

١٠- كلمة التوحيد هي الكلمة التي يُصدق قائلها

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله عز وجل: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحدهُ، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي». [صحيح الترمذي ٢٧٢٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُهُ وشرْكَهُ». [مسلم ٢٩٨٥].

قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: أنا غنى عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل، لا ثواب فيه ويأثم به. [مسلم بشرح النووي ٩ / ٣٤٣].

١١- كلمة التوحيد أفضل الحسنات

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عَدْلَ عشر رقاب، وكُتبتْ له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عَمِلَ أكثر من ذلك». [البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١].

١٢- لا إله إلا الله تفتح أبواب السماء وأبواب الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر». [صحيح الترمذي ٢٨٣٩].

وعن عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغ - أو فيسبغ - الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء». [مسلم ٢٣٤].

١٣- كلمة التوحيد هي آخر ما يخرج به المسلم من الدنيا

ينبغي للمسلم إذا عاين احتضار أخيه أن يلقنه كلمة التوحيد، رجاء أن يموت عليها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله». [مسلم ٩١٦].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». [رواه أبو داود].

١٤- لا إله إلا الله تنفع قائلها يوم القيامة

عن المسيب بن حَزَن رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة - أي قرب موته - جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمِّ قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدُ له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله». [مسلم ٢٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله، نفعتهُ يومًا من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه». [صحيح الجامع ٦٤٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه». [البخاري ٩٩].

١٥- شهادة التوحيد ثقيلة في ميزان الحسنات يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله سيُخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سِجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزْنَك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال: إنك لا تُظلمُ قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء». [صحيح الترمذي ٢١٢٧].

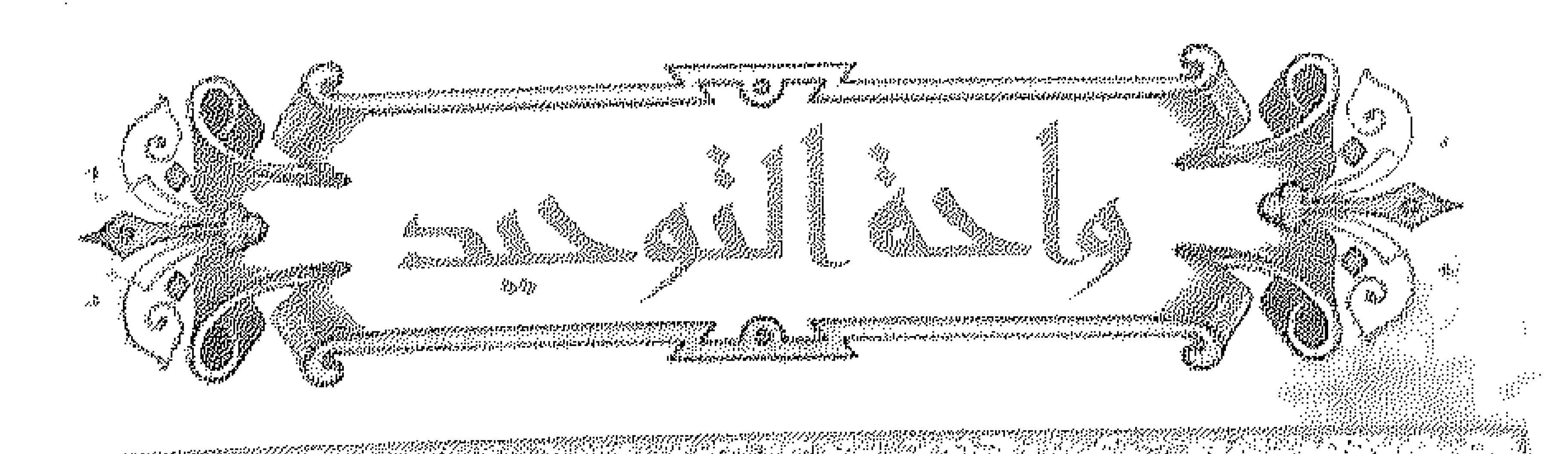
١٦- كلمة التوحيد تمنع خلود أصحاب المعاصي من الموحدين في النار

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها - أي من النار - من قال: لا إله إلا الله». [البخاري ٧٥١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُغير إذا طلع الفجر، فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر، الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرة»، ثم قال: «أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: خَرجْتَ من النار». [مسلم ٣٨٢].

نسأل الله عز وجل أن يحيينا على كلمة التوحيد، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



من نور كتاب الله

الاعتراف بفضل الله سبب دوام النعمة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٤٩].

من هدي رسول الله ﷺ

القناعة تريح القلوب وتعين على الطاعة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين (أي الإنس والجن): يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى». [أخرجه احمد ٥ / ١٩٧].

اتق الله في اليتيم

عن أسماء بن عبيد قال: قلت لابن سيرين عندي يتيم، قال: اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه ما تضرب ولدك.

[الأدب المفرد].

من دلائل النبوة

نصرة الله نبيه ﷺ

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر قال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، ففتح الله له فانقلبوا، وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا».

[رواه أبو داود].

من فضائل الصحابة

ثالث الخلفاء الراشدين: عثمان بن عفان، رضي الله عنه

عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله ﷺ: «هذا يومئذ على الهدى» فوثبت، فأخذت بضبعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: هذا».

[رواه ابن ماجه].

حكم ومواعظ

عن همام عن كعب قال: إن العبد ليذنب الذنب الصغير فيحقره ولا يندم عليه ولا يستغفر منه فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود، ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفر منه فيصغر عند الله عز وجل.

عن إبراهيم بن بشار الرمادي قال: قلت لسفيان بن عيينة أيسرك أن يهدى إليك عيبك ؟ قال: أما من صديق فنعم و أما من موبخ أو شامت فلا.

إعداد/ علاء خضر

ابدأ بجارك القريب وإن كان غير مسلم

عن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو وغلامه يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي، أصلحك الله، قال: إني سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه. [الأدب المفرد]

هل يعرف الله بالعقل؟

سُئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن رجل يقول: عرفت الله بالعقل والإلهام، فقال: من قال: عرفت الله بالعقل والإلهام فهو مبتدع، عرفنا كل شيء بالله.

وسُئل ذو النون المصري: بماذا عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

من خوارم المروءة !!

عدم الغيرة على الأهل والرضا لهم بالاختلاط ومصافحة الأجانب وكل هذه مقدمات الزنا، والعياذ بالله.

من حكم الشعر

قال أحد الشعراء في اتباع السنة:

من كانَ يرغبُ في النجاةِ فما له
غيرُ اتّباعِ المصطفى فيما أتى
ذاكَ السبيلُ المستقيمُ وغيرُه
سبلُ الغوايةِ والضلالةِ والرّدى
فاتبعْ كتابَ اللّهِ والسننَ التي
صَحَّتْ فذاكَ إذا اتبعتَ هو الهُدى
ودعِ السؤالَ بكمْ وكيفَ فإنه
بابٌ يجرُّ ذوي البصيرةِ للعَمَى
الدينُ ما قالَ النبيُّ وصحبُهُ
والتابعون ومن مناهجِهم قَفا

من جوامع الدعاء - التعوذ من الشرك

عن معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: «يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيبِ النمل» فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم». [الأدب المفرد].

لا تدري نفس بأي أرض تموت

عن أبي المليح رضي الله عنه، عن رجل من قومه - وكانت له صحبةٌ - قال: قال النبي ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ قَبْضَ عَبْدٍ بأرْضٍ، جَعَلَ له بهَا حَاجَةً». [السلسلة الصحيحة: ١٢٢١].

وقفات مع آيات الحج

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده.

أمّا بعد: فاوصيكم - أيّها الناس - ونفسي بتقوى الله سبحانه، فاتقوه في الغيب والشهادة والغضب والرضا والفرح والترح، ألا فاتقوا الله - يا أولي الألباب - لعلّكم تفلحون.

أيّها المسلمون، في هذه الأيام تترقّب نفوسُ المسلمين بعامّة حلولَ شهر ذي الحجة، وأفئدتهم تشرئبّ إلى انبثاق هلاله الوليد، وأسرابُ الحجيج بدأت تتوافد إلى البيت العتيق لأداءِ مناسك الرّكن الخامسِ من أركان الإسلام. إنهم يفِدون إليه بخطَى الطاعةِ والاستجابة لأمر الله جلّ وعلا لخليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧]. إنهم يفدون إليه ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسمَ الله جلّ شانه ونفوسُهم في الوقت ذاته مليئةٌ بحبّ الاستطلاع على معاني الحجّ وحِكَمه وأسراره من خلال أجواءِ النسُك والتنقّل في عرصاتِ المشاعر المقدّسة.

عبادَ الله، إنّ وقفاتٍ يسيرةً مع آيات الحجّ في كتاب الله تعالى لهي كفيلةٌ في كشف شيء من أسرار الحج وحِكَمه وما تحويه من معاني التكاملِ والتهذيب وأصولِ التخليَة المفضية إلى التحلية.

تتمثّل هذه الوقفاتُ في أعظم الحِكَم والمقاصد لهذا النُسك العظيم، إنها الوقفةُ مع توحيد الله جلّ وعلا الذي بُني البيتُ العتيق من أجلِه وجُعل قصدُ الناس إليه من أرجاءِ المعمورة لإذكاءِ شعيرةِ توحيد العبادة وخلوصها لله سبحانه لا شريكَ له، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

إنّ التوحيد الخالصَ هو عماد خلافةِ الإنسان في الأرض، وهو أفضلُ ما يُطلب وأجلُّ ما يُرغب وأشرفُ ما يُنسَب، لا يُشيَّد الملك العتيدُ إلا على دعائم التوحيد، ولا يزول ويتلاشى إلا على الشرك. ما عزّت دولةُ الإسلام إلا بانتشاره، ولا ذلّت واستكانت إلا باندثاره.

إنّه التوحيد الخالصُ الذي يأرِز بالناس إلى برّ الأمان والوقايةِ من زوابع الشرك بالله في ألوهيته وربوبيته والإلحاد في أسمائه وصفاته. إنّه توحيدٌ يعلّق الرجاء بالله والخوف منه والاستعانةَ والاستغاثة به وأن لا يُحكم في الأرض إلا بما شرع الله سبحانه. إنّه التوحيدُ الذي يغمر قلوبَ المسلمين باليقين الخالص، والذي شُرع الحج لأجله حيث يقول الباري سبحانه: ﴿حُنَفَاء للَّه غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

ولذا جعل الله الكعبةَ البيتَ الحرام قيامًا للناس، وما الحجَر

الأسودُ إلا موضعُ الابتداء ونقطة التميز في هذا البناءِ المبارك، وليس للبركةِ والتبرك محلٌ مع الأحجار غير الاقتداءِ بالنبيِّ ﷺ بتقبيله والطواف بالبيت، ولقد صوَّر الفاروق رضي الله عنه هذا الفهمَ الحسَن بقوله: (إني أعلمُ أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك). [أخرجه البخاري في الحج (١٥٩٧، ١٦١٠)، ومسلم في الحج (١٢٧٠)]

والمسلمُ ينبغي أن يعلمَ علمَ اليقين عندما يطوف بالبيت ويقبِّل الحجر الأسودَ ويستلم الركن اليمانيَّ أنّ النافع الضارَّ هو الله وحدَه، وأن أيَّ إخلالٍ بهذا المفهوم فإنّه يوقع في براثن الشركِ بالله الذي ما أُسِّس البيت العتيق إلا لنفيه وإزالتِه، ولذلك بعثَ النبيّ ﷺ أبا بكر رضي الله عنه في العام التاسع بالحجّ لينادي في الناس يومَ النحر أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوفَ بالبيت عُريان. رواه البخاري ومسلم. ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣٠].

الوقفة الثانية

ووقفةٌ أخرى - عبادَ الله - مع آيات الحجّ، حيث يبيّن الله جلّ وعلا أحكامه وآدابَه ليعلمَ الناسُ ما يجب عليهم في تلك العرَصات، وما لأوامر الله من التعظيم والامتثالِ والتحذير من الإخلال بها أو التكاسُل عنها أو التساهُل بآحادها؛ إذ العبادةُ ليست محلاً للعبَث ولا للإخلال بها من أيِّ وجهٍ كان، فلهذا جاء قول الباري سبحانه دالاً على توعُّد المقصِّر فيها والمتهاون عنها حيث يقول سبحانه بعد سرد شيء من أحكام الحج: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

إعداد/ فضيلة الشيخ
سعود الشريم
إمام الحرم المكي

الْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦]، ولم يقل: واعلموا أنّ الله غفور رحيم، وذلك لأجل التأكيد على حرمة الحجّ وعلى حُسنِ الأداء على الوجه الأكمل؛ لأنّه يقع ضمنَ حدود الله جلّ وعلا التي شرعَها وهو القائل: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وليطالَ نفسَ المؤمن الانتباهُ إلى أنّ العقابَ في مقابِل التهاون.

الوقفة الثالثة

ووقفةٌ أخرى مع آياتِ الحجّ عبادَ الله، تتَّضِح في جعل الحجّ محلاً للتعاون والبذلِ والإحساس بالآخرين وسدِّ حاجتهم حتى في مواطنِ العبادة، فتأتي الآيةُ في سياقِ ذكر الحجّ دالّةً على عِظَم التعاون والحاجة إلى العطف على الفقراء والجوعَى وسدِّ مسغَبتهم، فيقول الله سبحانه: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨]، وفي الآية الأخرى يقول: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج:٣٦]، والقانِع هو الذي لا يسأل الناسَ إلحافًا مع جوعه وإملاقه، والمعترُّ هو الفقير الذي يتكفَّف الناس.

الوقفة الرابعة

ووقفةٌ رابعة عباد الله، تتجلّى في قيمة التقوى وعِظَم أثرها وأنها هي الميزانُ الذي توزَن به الأعمال ويوزن به الناس، ولذا كثُرت الوصية بالتقوى في آيات الحج، فقد قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦]، وقال أيضًا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ

يا أولي الألباب﴾ [البقرة:١٩٧]، وقال سبحانه: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقال أيضًا: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج:٣٢]، وقال سبحانه: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج:٣٧]. إنها التقوى - عبادَ الله - التي هي جماعُ الخير كلِّه.

إنك - أيها المسلم - إذا عبدتَ الله على نورٍ من الله ترجو ثوابَ الله وتركتَ محارمَ الله على نورٍ من الله تخشى عقابَ الله فقد حققتَ التقوى بحذافيرها في واقعِ حياتك، والتي من خلالها تقوم بالحقوق المنوطَةِ بك تجاهَ خالقك وتجاه إخوانك في الدين.

الحج وثمار التقوى

ومظاهرُ الحجِّ - عباد الله - كلُّها دالّة على هذا المقصد، فالمسلمون كلُّهم كالجسد الواحد، وهم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، والمسلمون في عرصَات الحجّ المبارك يعيشون لحظاتٍ تتجسَّد فيها معاني التقوى المفرِزة لأساس الأخوّة الوثيقة العُرى، التي تؤلِّف بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنَتِهم، فحينما يستبدل الحجّاج زيَّهم المعتادَ بزيِّ الحجِّ الموحَّد فيصبحون حينها بمظهرٍ واحد، ويتوجّهون إلى ربٍّ واحدٍ بتلبيةٍ واحدة، ويُسقطون بهذه التلبية كلَّ هُتافٍ وطنيٍّ وكلَّ شعارٍ عبِّيٍّ، يطوفون حولَ بيت واحدٍ، ويؤدّون نسكًا واحدًا. إنّ هذه الصورة الحيّةَ لتُعدُّ ثمرةً يانعة من ثمراتِ التقوى التي توحي إلى الناس بأنّه ليست هناك دواعٍ معقولةٌ تجعلهم يعيشون متناكرين متنافرين، عن اليمين وعن الشّمال عزين، وليس هناك دواعٍ إلى أن يتكبَّر المتكبِّرون ويتجبَّر المتجبِّرون، وليس هناك دواعٍ إلى التفاخُر بالأحساب والأنساب والألقاب، بل إنّ تمكّنَ التقوى من نفس العبد المؤمنِ ليجعله يستحضر بداهةً أنّ الله عزّ وجلّ قد ردّ أنسابَ الناس وأجناسَهم إلى أبوين اثنين، ليجعلَ من رَحمِ حوّاء ملتقًى رحبًا تتشابك عنده الصِّلاتُ وتستوثق العُرى، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات:١٣].

إنّه التعارف والتآلفُ والتعاون، وليس للّون ولا للِّسانِ ولا للَّقَب محلٌ بينها، ولا للُّغة ولا للجنس والوطن من حسابٍ في ميزان الله، إنما هناك ميزانٌ واحد تتحدَّد به القيَم ويُعرَف به فضلُ الناس: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

بالتقوى - عبادَ الله - يعلو المرءُ ويشرُف كما عَلا صهيبٌ وشرُف سلمان رضي الله تعالى عنهما، وبزوالها يتحقّق الذلُّ والهوان ويضَع الله تاركَها كما وضَع أبا لهبٍ بالشرك والكفر.

إنها التّقوى - عبادَ الله - التي جعلت محمّدًا ﷺ وهو من سادَة قريش يزوِّج ابنةَ عمّته زينبَ بنت جحش الأسدية بزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وقد كان مولى للنبيّ ﷺ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه لبعض أصحابه: [يا بني بَياضة، انكحوا أبا هندٍ وأنكحوا إليه] وقد كان حجّامًا رضي الله عنه. رواه أبو داود والحاكم، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤٦).

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ [الأعراف:٢٦].

الوقفة الخامسة

ولنا وقفة خامسةٌ مع آيات الحجِّ في كتاب الله تعالى، يذكّر الله من خلالها المسلمين بنعمة الإسلام والهداية التي منَّ الله بها عليهم؛ حيث أنقذهم من عبوديّة غير الله إلى عبوديّته وحدَه، ومن جَور الأديان إلى

عدلِ الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعةِ الآخرة.

إنّه جلّ وعلا يذكّرهم بذلك وهُم في غمَرات المناسك يجولون ولرحمَة ربِّهم يرجون: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة:١٩٦]، وقال أيضًا: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

إنها نعمةُ الهداية للدين عبادَ الله، إنه الخروجُ من الظلمات إلى النور ومن الموت إلى الحياة، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

إنّ استقرارَ الفرد والمجتمعات لا يمكن أن يتحقّق إلا بالالتزام بالدين والتمسك بالإسلام تمسكَ الغريق بطَوق النجاة. وإنّ موسمَ الحج المبارَك ليشدُّ الناسَ إلى الدين ويذكّرهم بحقّ الله. إنه يرفَع في النفوس السّويّةِ درجةَ الاستعداد لتغيير ما في النفسِ ليُغيِّر الله ما حلّ بهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

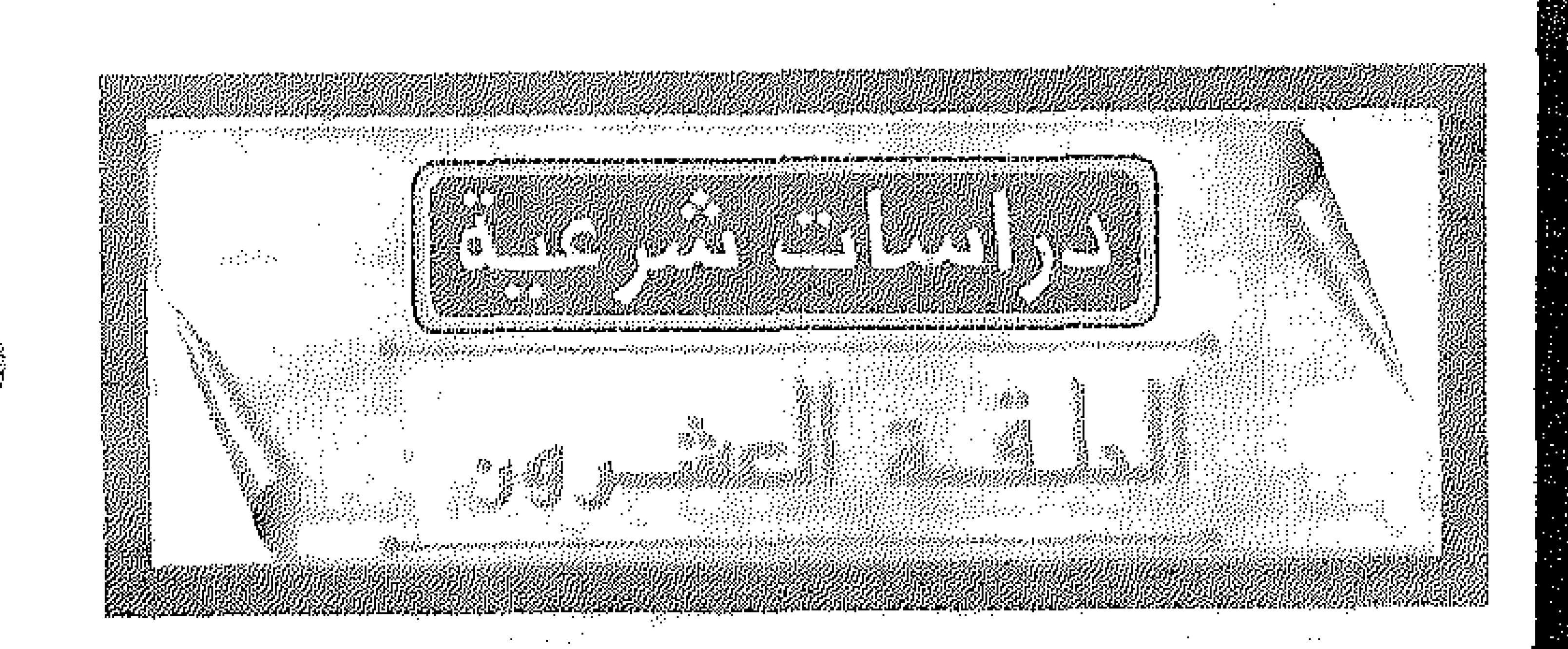
الدين أعظم الضرورات للناس

إنّ اللهَ يذكّرهم في آياتِ الحجّ بضرورة هذا الدّين لهم، وأنّ كلّ أمّة تهمل أمرَ دينها وتعطّل شرعَ ربها أو تستخفّ به أو تأخذ به على استحياء أو على شَرَقٍ فإنما هي تهمل أعظمَ طاقاتها وأسَّ العزّ فيها، وتعطّل أسبابَ فلاحها في الدنيا والآخرة، وكلّ أمّة يُفقَد التديُّن في مجتمعها أو تعلو راياتُ التراجُع بين صفوفها فإنها تضطرب لا محالة، ويموج بعضُها في بعض، ويقلِب الله عزّها ذُلاً وأمنَها خوفًا، فإن تولّت يستبدِل الله أقوامًا غيرَها ثم لا يكونوا أمثالها.

والمجتمعُ الذي لا يشعُر بحاجتِه للالتزام بالدّين يُعدُّ مجتمعًا عديمَ الإيمان بعيدًا من الرحمن لأنّ النبيَّ ﷺ يقول: [ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر بعد أن أنقذَه الله منه كما يكرَه أن يقذَف في النار] رواه البخاري ومسلم.

إنه لا أهونَ على الله من أمّةٍ لامسَ التدينُ شغافَها وبلغ مسامعَ بنيها وأبصارَهم، ثمّ هي تتناقص وتتخاذل وتقع في الحور بعد الكَور والضعفِ بعد القوة. ألا إنّ هدايةَ الله لدينِه لا ينالها كلُّ أحد، بل هي مِنّة من الله ورحمةٌ ينبغي لمن أعطيَها أن يعضَّ عليها بالنواجذ أفرادًا ومجتمعات، وأن لا يكونَ لحظوظ النفس ودعاوى المغرضين سبيلٌ في إضعاف مقوِّمات الدّين في النفوس أو رجع الصّدَى لأصواتِ الناعقين بالتّراجع عن الدين بدعاوَى التحرُّر أو الإصلاح أو غير ذلك من الأساليبِ المقنَّعة، فإنَّ الصبغةَ الحقيقية هي صبغةُ الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ [البقرة:١٣٨]. وأمّا الحاقدون والمغرضون ولصوصُ الحروف الذين كرهوا ما نزّل الله فهم آفاتُ الفتَن وخَرق السفينةِ الماخرة، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٢، ٤٣].

والحمد لله رب العالمين.



المنهج الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فقد رأينا أن حديث الإفك كان تجربة واقعية وتطبيقًا عمليًا لمنهج الشرع في وقاية المجتمع من الفاحشة، وكيف كان هذا الإفك من صنع اليهود وأذنابهم من المنافقين في المدينة، واستعرضنا الأطراف التي أصابها هذا الحديث الباطل، ومن كان سببًا فيه.

ولم نذكر حديث الإفك بتمامه، لسببين؛ أولهما شهرته، وثانيهما طوله، ولكن سنذكر مختصره لعل بعض القراء لم يقف عليه من قبل:

فالنبي ﷺ في إحدى غزواته، وكانت معه زوجته عائشة رضي الله عنها، انقطع عقدها أثناء العودة إلى المدينة، فذهبت تطلبه في المكان الذي قضت فيه حاجتها، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، ورحل الصحابة هودج عائشة الذي كانت تُحمل فيه، وكانت خفيفة الوزن فلم يشعروا بخلو هودجها منها، فلما عادت عائشة وجدت الجيش قد مضى، فأقامت في مكانها لعلمها أنهم إذا فقدوها رجعوا إليها.

وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه، كان في أخريات الجيش، فلما جاء وجد عائشة رضي الله عنها، وكان يعرفها قبل الحجاب (أي: النقاب)، فأناخ راحلته، فركبتها دون أن يكلمها أو تكلمه، إلا اما كان من سترجاعه عندما أناخ راحلته، وجاء يقود الناقة ماشيًا، حتى أدرك الجيش في الظهيرة، فرأى بعض المنافقين ذلك، فأشاع مقالة الإفك، وتلقفته بعض الألسنة، حتى وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، وانحبس الوحي مدة طويلة عنه ﷺ، ومن لطف الله بعائشة رضي الله عنها أنها مرضت مرضًا شديدًا، طرحها في الفراش شهرًا أو قريبًا منه، حتى علمت بالخبر من أم مسطح، فزاد مرضها وحزنها ، حتى أنزل الله تعالى براءتها، وحذر المؤمنين ووعظهم، وتوعَّد المنافقين الذين خاضوا في هذا الأمر بالعذاب الشديد.

لكني أريد أن أتوقف عند بعض الفوائد التي وردت في حديث الإفك بالبيان والتوضيح:

فقه البخاري المستنبط من حديث الإفك

أول هذه الفوائد: هو ما ترجم به البخاري للحديث في «صحيحه»، فالحديث أخرجه البخاري في مواضع من الصحيح مستنبطًا منه الكثير من الفقه - كعادته - فأخرجه في كتاب الشهادات، باب إذا عدَّل رجل رجلاً فقال: لا نعلم إلا خيرًا، أو ما علمت إلا خيرًا (٢٦٣٧)، وباب تعديل النساء بعضهنَّ بعضًا (٢٦٦١)، وكتاب الجهاد باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه (٢٨٧٩)، وكتاب المغازي (٤٠٢٥)، وباب حديث الإفك (٤١٤١)، وكتاب التفسير، باب: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (٤٦٩٠)، وباب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٤٧٥٠)، وكتاب الأيمان والنذور، باب قول الرجل: لَعَمْرُ الله (٦٦٦٢)، وباب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب (٦٦٧٩)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (٧٣٦٩)، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

إعداد/ متولي البراجيلي

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾ (٧٥٠٠)، وباب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»، و«زينوا القرآن بأصواتكم» (٧٥٤٥).

عائشة رضي الله عنها عند سماعها بالخبر لأول مرة

كانت - رضي الله عنها - قد مرضت شهْرًا، حتى إذا نقهت (أي: تماثلت للشفاء) خرجت لقضاء حاجتها مع أم مسطح، فلما عثرت أم مسطح في مرطها دعت على ابنها قائلة: تعس مسطح، فقالت لها عائشة: بئس ما قلت، تسبين رجلاً قد شهد بدرًا.

فقالت أم مسطح: يا هنتاه (يعني يا غافلة عما يقول الناس)! ألم تسمعي ما قال، فأخبرتها بقول أهل الإفك.

فعندما سمعت عائشة رضي الله عنها بالخبر لأول مرة انتكست في مرضها، وعاد المرض عليها أشد مما كان، وأسقط في يديها، ماذا تفعل وكيف تتصرف تجاه هذه المصيبة، وهل الكل يعلم هذا أم قليل منهم.

وكالطفل الصغير الذي إذا استشعر الخطر ألقى بنفسه في حضن أبويه التماسًا للأمان، ألقت بنفسها وآلامها في حضن أمها.

وتريد أن تتيقن من الخبر، فإذا بالخبر عند أمها وعند أبيها، فتقول: سبحان الله! أوَ تحدث الناس بهذا، وبلغ رسول الله ﷺ ؟ قالت أمها: نعم.

ماذا تفعل إذن تجاه هذا الحدث الذي زلزل قلبها، فلم تجد إلا البكاء فالبكاء.

قالت رضي الله عنها: فبكيت تلك الليلة حتى أصبح لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى ظن أبواي أن البكاء فالق كبدي.

الناس يخوضون في حادثة الإفك شهراً كاملاً

والنبي ﷺ لاذ بالصبر، وكيف لا وهو الذي علم الأمة كلها أن تصبر عند الملمات، فما أثر عنه ﷺ أنه تكلم بكلمة أو عمل عملاً يدل على نفاد صبره، ولا يستطيع أن يضع حدًا لهذه الفتنة، وهو الذي انبرى لكل الفتن يئدها في مهدها، لكنها هذه المرة تتعلق بفراشه وعِرضه، فلما اشتد عليه الأمر، وتأخر عنه الوحي، أرسل يتشاور مع أهل بيته في الأمر، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.

فارسل إلى الحب ابن الحب أسامة بن زيد، وإلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، يستشيرهما في فراق أهله، فاشار عليّ - رضي الله عنه- عليه بسؤال الجارية (بريرة).

والنبي ﷺ يسأل بريرة: هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ فزكتها بريرة أفضل تزكية، وهنا النبي ﷺ يلجأ إلى ما يلجأ إليه العباد في مثل هذه الأمور، التتبع والسؤال، وجمع المعلومات واستخلاص النتائج: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ الآية.

مواجهة النبي ﷺ الناس بالأمر

بعد المشورة وسؤال بريرة قام رسول الله ﷺ خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فمن يُعْذرني ممن قد بلغني أذاه في أهلي» - يعني عبد الله بن أبي بن سلول.

وقال وهو على المنبر أيضًا: «يا معشر المسلمين، من يعذرني ممن قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت عن أهلي إلا خيرًا»، وما كان يدخل على أهلي إلا معي (يقصد صفوان بن المعطل).

فالأمر قضية عامة تعم كل المسلمين الصادقين ولا

تخص النبي ﷺ وأمهم عائشة فقط.. ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، فلابد أن يتدخل المؤمنون للذب عن دينهم ونبيهم.

وسارع سعد بن معاذ - كعادته - بالاستجابة لطلب النبي ﷺ، وأخذت الحمية سعد بن عبادة رضي الله عنه، ورد أسيد بن حضير.

وثار الحيَّان وكادت تحدث فتنة ويقتتل الأوس والخزرج أمام رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر، فلم يزل يخفِّضهم حتى سكتوا.

وأعرض النبي ﷺ أن يطلب الرأي من الناس، بعدما رأى من حالهم، فماذا يفعل رسول الله ﷺ ؟

النبي ﷺ يواجه صاحبة الأمر عائشة رضي الله عنها

وهذا آخر الأسباب التي بذلها رسول الله ﷺ، أن يتكلم مع عائشة - مع علمه ببراءتها كما ذكر ذلك على المنبر - فذهب إليها عند أبويها فسلَّم، ثم جلس، فتشهد حين جلس، ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه».

وفي ظني أن كلام النبي ﷺ مع عائشة هو أشق ما سمعته طوال سني حياتها مع رسول الله ﷺ، ولا تعرف ماذا تقول، وكما فعلت عندما سمعت بالخبر لأول مرة لجأت إلى أبويها لعلها تجد عندهما ما يشفي صدرها، قالت: فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال. ولكن، أيتكلم أبو بكر بعد كلام رسول الله ﷺ؟!

فيقول أبو بكر: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فتوجهت إلى أمها، فقالت: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

عائشة تتوجه إلى الله فترد بكلام الله «القرآن»

فبعد أن قالت كلامًا يدل على رجاحة عقلها، وأنه ما غاب عنها في أحلك أوقاتها، قالت:.. فوالله ما أجد لي مثلاً ولا لكم إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، فلما لجأت إلى الله واستشهدت بكلامه، نزل الوحي في الحال.

نزول الوحي بعد استنفاد الأسباب البشرية

لم يكن أمام رسول الله ﷺ سبب آخر بشري يلجأ إليه، لكنه قال في معرض كلامه لعائشة: «فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله».

فالنبي ﷺ يعلم يقينًا أن الله تعالى لن يدعه في هذا الخطب الجلل، وأن الله يبتليه، والبلاء لابد له من انكشاف.

وتخيل معي المجلس وقت نزول الوحي: النبي ﷺ قال قولته لعائشة وسكت، وعائشة قلص دمعها (توقف)، وأبو بكر أجاب وسكت، وأم رومان أجابت وسكتت، وامرأة من الأنصار تجلس عند باب عائشة تبكي بحرقة حزنًا على عائشة رضي الله عنها، كان هذا الوقت هو أوان الوحي ليفصل في المسألة وينهي أشد محنة تعرض لها رسول الله ﷺ ومن معه.

تقول عائشة رضي الله عنها: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء عند نزول الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق، في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ العشر الآيات.

عائشة رضي الله عنها تستصغر شأنها

تقول رضي الله عنها: ثم تحولت فاضطجعت إلى فراشي، قالت: وأنا واللهِ حينئذٍ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن واللهِ ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

النبي ﷺ يتكلم بعد الوحي

لم ينتظر رسول الله ﷺ حتى يتكلم، إنما ضحك بعدما كان مهمومًا أشد الهم ليعرف من حوله قبل أن يتكلم أن الخير جاء.

وكانت أول كلمة تكلم بها هي البشارة لصاحبة الشأن، بعد أن تلقى هو ﷺ من ربه وحيًا.

فقال ﷺ: «أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك».

وكلام النبي ﷺ كان له سياقًا قبله، فإن كان الناس خاضوا في عرضك وأنا لم أستطع أن أبرئك – مع يقيني بذلك – لأني طرف في الأمر، فإن الله لم يتخل عنك.

عائشة لا تحمد إلا الله تعالى

فبعد الوحي قالت لها أمها: قومي إليه (أي: إلى الرسول ﷺ)، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي.

زينب أم المؤمنين والعصمة بالورع

فأختها حمنة – رضي الله عنها – تكلمت مع من تكلم من أجل زينب والغيرة لها على عائشة رضي الله عنها.

لكن زينب رضي الله عنها عندما سألها رسول الله ﷺ، كما تقول عائشة رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ عن أمري: «ما علمتِ؟ أو ما رأيتِ؟» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني (تقترب من مكانتي) من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

فالغيرة في جبلة المرأة، وبالأخص من ضَرَّتها، لكنها هنا لم تدفع زينب إلى قول الزور واستغلال الخطب الذي فيه عائشة، فشهدت بالحق، وبرأت سمعها وبصرها من هذا الإفك، فهي لم تر ولم تسمع من عائشة إلا كل خير وجميل.

القرآن وحادثة الإفك

ما كان لنا أن ننهي الكلام عن حديث الإفك، دون أن نتوقف مع كلام ربنا في شأنها، فهو القول الفصل الذي جلّى الأمر وأظهر حقيقته، وعظ وأرشد وحذَّر وتوعد وعفا وغفر، فالله تعالى هو الذي قدَّر حادثة الإفك، وابتلى بها خيار خلقه، ليمحص ويرفع أقوامًا ويحط آخرين.

وقد يُثار تساؤل: ولم لَمْ أبدأ بكتاب الله في كلامي عن الإفك؟

أقول: لأني عملت بسنة ربي في حادثة الإفك، إذ أمهل الله تعالى الخائضين يخوضون، والمدافعين يدافعون، واشتجر الأمر طوال شهر كامل، ثم كان كلام الله القول الفصل في المسألة.

مقدمة سورة النور توطئة لحادثة الإفك

فالله تعالى بدأها بالكلام عن الزنى والزناة وعقوباتهم، ثم انتقل إلى الكلام عن القذف والقاذفين وعقوباتهم، وفتح أبواب التوبة لهم مع فداحة جرمهم.

وبيَّن لنا كيف توعَّد الأزواج – الذين يقذفون زوجاتهم زورًا وبهتانًا – باللعنة، وتوعد الزوجات – اللاتي يقعن في الفاحشة – بالغضب.

وبعد الانتهاء من بيان حكم القذف في الآيات السابقة يأتي حديث الإفك كنموذج تطبيقي لمنهج الإسلام في كيفية معالجة القذف واقعيًا بعد التنظير له، والله تعالى قدَّر أن يكون هذا الحدث ابتلاءً لخير خلقه ﷺ، إذ يتهم في عرضه، وعرض عائشة أحب الناس إلى قلبه، وعرض أبيها أقرب أصحابه وأحبهم إليه.

كما بالحديث عندما يسأل عمرو بن العاص النبي ﷺ: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إليك. قال: عائشة ؟ قال: من الرجال: قال: أبوها. (سنن الترمذي وهو في الصحيحين).

ولقد كان حديث الإفك تجربة شاقة وابتلاءً شديدًا على رسول الله ﷺ وزوجته وأبي بكر وصفوان، ولكل الصحابة الأفاضل والمؤمنين الفضلاء.

الآيات العشر التي نزلت في حادثة الإفك، حفلت بالزجر للمؤمنين عامة، ولمن خاض في الإفك من المؤمنين والمنافقين خاصة.

فنستطيع أن نحصي ثمانية زواجر في الآيات:

في قوله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾. «لولا»: حرف تحضيض يتضمن معنى الزجر والتوبيخ، وهو بمعنى: هلاَّ.

٢- ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: لولا كالسابقة (التحضيضية الزاجرة).

٣- ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ الآية: لولا التحضيضية الزاجرة.

٤- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ الزاجر الرابع: تتناقلون الكلام بغير علم وبينة وتحسبونه يسيرًا وهو ليس بيسير عند الله.

٥- ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ لولا التحضيضية الزاجرة.

٦- ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ النصح وفيه معنى الزجر.

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ الوعيد لهؤلاء الذين يحبون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا...

٨- ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. لولا التحضيضية الزاجرة.

- كما ترى اشتملت الآيات العشر على تكرار «لولا» التي فيها التحضيض وتتضمن الزجر والتوبيخ، وكذلك تتضمن معنى العتاب لمن خاض في حديث الإفك ولكل المؤمنين.

وقفات مع الآيات العشر التي أنزلت في حديث الإفك

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الإفك: الكذب، بل هو أسوأ الكذب، وسمي إفكًا لكونه مصروفًا عن الحق، من قولهم: أفك الشيء: إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف، فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه.

وقيل: الإفك هو البهتان، لا تشعر به حتى يفجأك.

عصبة منكم: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه، لكنه اغتر بترويج المنافقين، فكان عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به.

قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾: الخير: هو ما زاد نفعه على ضَرِّه، والشر: هو ما زاد ضرُّه على نفعه، وإنَّ خيرًا لا شر فيه هو الجنة، وإن شرًا لا خير فيه هو النار، وأمَّا البلاء النازل على الأولياء فهو خير ؛ لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الآخرة.

والخير في حديث الإفك لما تضمن من تبرئة أم المؤمنين عائشة ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي ﷺ، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي لا يزال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك، وكذلك من الخير إظهار شرف بيت النبوة باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين حيث أنزل براءتها في القرآن العظيم.

ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنهما وهي في سياق الموت، قال لها: أبشري فإنك زوجة رسول الله ﷺ، وكان يحبك ولم يتزوج بكرًا غيرك، ونزلت براءتك من السماء.

وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.



توقير الكبير

إعداد. د/
حسن إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فيقول الحبيب المصطفى ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا». [رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

أولاً: توقير الوالدين

لقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

والجد مثل الوالد ؛ لقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨].

كذلك فإن العم مثل الوالد ؛ لقوله تعالى على لسان أولاد يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، والمعلوم أن إسماعيل عليه السلام هو عم يعقوب عليه السلام، ولقوله ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه». رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني.

والخال مثل العم، وكذلك الأخ الأكبر ووالد الزوجة وزوج الأم وكل من له عليك حق حتى وإن كان أصغر منك سنًا، وبالمثل فإن الجدة مثل الأم، وكذلك الخالة ؛ لقوله ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم». رواه البخاري.

والعمة مثل الخالة، وكذلك الأخت الكبرى وزوجة الأب وزوجة الجد وأم الزوجة وكل من لها حق عليك. (وكلهن من المحارم).

ثانيا: توقير كبار السن

حتى وإن كانوا أقل منك مالاً أو جاهًا أو علمًا؛ لعموم قوله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا». رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

ولقوله ﷺ: «كَبِّر كَبِّر» يعني الكبار أولاً. (متفق عليه).

ولقوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم». رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ثالثا: توقير العلماء

حتى وإن كانوا أصغر منك سنًا أو أقل منك مالاً أو جاهًا ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ولقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ولقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». متفق عليه.

ولقوله ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء». [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

ولعموم قوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه». رواه أبو داود وحسنه الألباني.

يقول العلماء عليهم رحمة الله: إن توقير العلماء هو توقير للشريعة التي يحملونها، ويدخل في عداد العلماء حملة كتاب الله تعالى وأئمة المساجد.

يقول ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

رابعا: توقير الأمراء والرؤساء

لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

قال العلماء عليهم رحمة الله: «أولو الأمر هم العلماء والأمراء والرؤساء».

ولعموم قوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط». رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ويدخل في هذا رئيسك في العمل، وقائدك في الجيش، وأستاذك في الدراسة، وما إلى ذلك حتى تستقيم الأمور، حتى وإن رأيت شيئًا تكرهه فإنك مخيرٌ بين إحدى ثلاث:

١- النصح له ؛ لقوله ﷺ: «الدين النصيحة». قيل لمن ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». رواه مسلم.

٢- إذا لم تتيسر النصيحة أو إذا لم يستجب، فعليك بالصبر، ولك أجر الصابر، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٣- إذا ضاقت بك السبل فما عليك إلا أن تلجأ إلى الله أن يفرج عنك.

موقف أهل الغفلة من توقير غيرهم

ومما يؤسفُ أن طلاب الدنيا في زماننا هذا تجردوا من المروءة، فتراهم لا يوقرون إلا من يرجون النفع منه أو يخافون بطشه، فإذا زال السبب انعدم التوقير، وهم بذلك غافلون ومخطئون لأن الله تعالى هو وحده الذي يملك النفع ويدفع الضر، يقول تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

ويقول تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

ويقول العلماء عليهم رحمة الله: لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل، ولكن هؤلاء الغافلين يُرضون من لهم عنده حاجة ولا يُرضون الله تعالى مع أن حاجتهم في الحقيقة عند الله وحده، وما الناس إلا جند من جنود الله يسخرهم لخدمة من يشاء من عباده أو لإنفاذ قضائه فيمن يشاء.

نسأل الله العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة



مشكلات





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فاستفادةً من الترتيب الموضوعي لكتاب «النكاح» كما ورد بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني لـ «صحيح البخاري» في مصنفه المسمى بـ «فتح الباري»، نكمل - إن شاء الله - حديثنا:

كثرة النساء

وهن الزوجات لمن قدر على العدل بينهن، وهو ما يسمى بـ «تعدد الزوجات»، نذكر في ذلك ثلاثة أحاديث:

الحديث الأول: حديث عطاء، قال: حضرنا مع ابن عباس رضي الله عنهما جنازة ميمونة زوج النبي ﷺ بسرف، وهو مكان معروف بظاهر مكة قبل التنعيم لمن أراد دخول مكة، قال: دفنا ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ، قال: صلى عليها ابن عباس، ونزل في قبرها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وهي خالة أبيه -، وعبيد الله الخولاني - وكان في حجرها -، ويزيد بن الأصم - وهي خالته كما هي خالة ابن عباس، فالذي يُنزل المرأة إلى قبرها محارمها.

قال ابن عباس: هذه زوجة النبي ﷺ، فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا بها، فإنه كان عند النبي ﷺ تسع، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة. [البخاري، وأخرجه أيضًا مسلم في كتاب الرضاع باب جواز هبة المرأة نوبتها لضرتها].

ونعشها: وهو السرير الذي يوضع عليه الميت. (تزعزعوها) من الزعزعة وهو تحريك الشيء الذي يُرفع. (تزلزلوها): من الزلزلة وهي الاضطراب، (ارفقوا بها): من الرفق أي سيروا بها سيرًا معتدلاً حفاظًا على حرمة المؤمن بعد موته، فإنه كان (عند النبي): أي حين وفاته. (تسع) هن سودة بنت زمعة، وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة بنت أبي سفيان وجويرية وصفية وميمونة رضي الله عنهن، وقد توفي ﷺ وهن في عصمته. وهذا ترتيب تزويجه إياهن رضي الله عنهن.

«وكان ﷺ يقسم لثمان» من القَسْم، وهو المبيت عند كل واحدة منهن بقدر ما يبيت عند غيرها بالتساوي، (ولا يقسم لواحدة)، وهي سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها لأنها قد أسَنَّت وأصبحت لا ترغب بما يرغب به النساء من المعاشرة، ولكنها أحبت أن تبقى على عصمته ﷺ لتكون في جملة زوجاته في الجنة.

ويستفاد منه أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت في حياته، وفيه حديث: «كسر عظم المؤمن ميتًا ككسره حيًا». [أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان].

واختلف في ريحانة هل كانت زوجة أو سرية، وهل ماتت قبله أو لا، وقد وقع عند مسلم أيضًا فيه زيادة أخرى، قال عطاء: وكانت - أي ميمونة - آخرهن موتًا، فأما كونها آخرهن موتًا، فقد وافق عليه ابن سعد وغيره، قالوا: وكانت وفاتها سنة إحدى وستين، وقد قيل أيضًا إنها ماتت سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة ست وستين، وعلى هذا لا تردد في آخريتها في ذلك.

الحديث الثاني: في كثرة النساء أيضًا هو حديث أنس أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة بغسل واحد وله تسع نسوة. [مسلم وغيره].

وقد اتفق العلماء على أن من خصائصه ﷺ الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن، واختلفوا هل للزيادة انتهاء أو لا، وفيه دلالة على أن القسم لم يكن واجبًا عليه ﷺ.

الحديث الثالث: عن سعيد بن جبير قال لي ابن عباس، وذلك قبل أن يخرج وجهي - أي قبل أن تنبت لحيته -: هل تزوجت ؟ قلت: لا، وما أريد ذلك يومي هذا، قال: فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً.

أي: أفضل هذه الأمة من كان عنده نساء أكثر من غيره، وسياق الكلام يدل على أن المراد بالنساء الزوجات، وهذه الأفضلية إذا تساوى مع غيره في باقي الفضائل.

وقوله: فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً قيِّد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فإنه كان أكثر نساءً، وكذلك أبوه داود.

وعند الطبراني من طريق أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: تزوجوا فإن خيرنا كان أكثرنا نساءً. قيل: المعنى خير أمة محمد من كان أكثرَ نساءً من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل، والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير: النبي ﷺ، وبالأمة: أخِصَّاء أصحابه، وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح، إذ لو كان راجحًا ما آثر النبي ﷺ غيره.

وكان ﷺ مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة: تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالبًا، وإن وجد كان يؤثر غيره بأكثره، ويصوم كثيرًا ويواصل، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب، وهي عنده نادرة أو معدومة، والعرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولة، ولم تشغله ﷺ كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن، وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه فلا يتطلعن إلى غيره، بخلاف العُزبة فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج.

حكمة كثرة نساء النبي ﷺ

والذي تحصَّل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره ﷺ من النساء عشرة أوجه:

١- أحدها أن يكثر من النساء مَن يشاهد أحواله الباطنة فينتفي ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

٢- ثانيها لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

٣- ثالثها للزيادة في تألفهم لذلك.

٤- رابعها للزيادة في التكليف، حيث كُلِّف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

٥- خامسها لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

٦- سادسها نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

٧- سابعها الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة؛ وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خُلُقه لنفرْن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

٨- ثامنها خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب، وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته، فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ.

٩، ١٠- تاسعها وعاشرها تحصينهن والقيام بحقوقهن والله أعلم، وفي الأحاديث الحض على التزويج وترك الرهبانية.

النية الصالحة في الزواج

ورد في ذلك حديث عمر رضي الله عنه بلفظ: «العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى». البخاري وغيره.

ومنه ما وقع من أم سليم رضي الله عنها في امتناعها من التزويج بأبي طلحة حتى يُسلِم، فعن أنس رضي الله عنه قال: خطب أبو طلحة رضي الله عنه أم سليم رضي الله عنها فقالت: والله ما مثلك يا

أبا طلحة يُرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، فأسلم فكان ذلك مهرها. أخرجه النسائي بسند صحيح.

ووجه الدلالة أن أم سليم رغبت في تزويج أبي طلحة، ومنعها من ذلك كفره، فتوصلت إلى بلوغ غرضها ببذل نفسها، فظفرت بالخيرين، وهما إسلامه، وزواجها منه.

واستشكل بعض العلماء بأن تحريم المسلمات على الكفار إنما وقع في زمن الحديبية، وهو بعد قصة تزوج أبي طلحة بأم سليم بمدة، ويمكن الجواب بأن ابتداء منع تزويج الكافر بالمسلمة كان سابقًا على الآية: ﴿فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، والذي دلت عليه الآية الاستمرار، فلذلك وقع التفريق بعد أن لم يكن، ولا يحفظ بعد الهجرة أن مسلمة ابتدأت بتزوج كافر. والله أعلم.

تزويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام

والمقصود بالمعسر هنا من لا مال له ولا قدرة مالية على الزواج، وقد جاء فيه حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، ونصه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه (يعني لا يريدها)، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه، فقال: أي رسول الله ؛ إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شيء ؟» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا». فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله، ما وجدتُ شيئًا، قال: «انظر ولو خاتمًا من حديد». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتم من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: ما له من رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: «وما تصنع بإزارك ؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسَتْه لم يكن عليك شيء». فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدعي، فلما جاء قال له الرسول ﷺ: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وكذا وسورة كذا، عدَّدها، فقال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟» (وهو الحفظ المتقن)، قال: نعم، قال: «اذهب قد ملكتكها بما معك من القرآن». البخاري وغيره.

والذي نريد أن نقوله لأهل زماننا نحو هذا الحديث: لماذا لم يسأله النبي ﷺ: من أين ستطعمها ما دمت لا تملك شيئًا مهرًا؟

والجواب معروف ؛ إنه بزواجه بها سيسعى على رزقه ورزقها متوكلاً على الله حق توكله فيرزقه كما يرزق الطير تغدو جياعًا وتعود شباعًا.

الإيثار في الزواج

وفيه حديث إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضلٌ من أقطٍ وسمن، ثم تابع الغُدُوَّ، ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة (عطر)، فقال النبي ﷺ: «مَهْيَمْ». أي: ما الأمر ؟ قال: تزوجت. قال: «كم سُقت إليها؟» (أي من المهر) قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب. شك إبراهيم.

فانظر أخي الكريم؛ إنها من أعلى درجات الإيثار، يقابلها عفة النفس؛ فلم يحدث مثل ذلك الإيثار عبر التاريخ البشري إلا في ذلك الدين العظيم.

وفي الحديث بيان عظيم لما كانوا عليه من الإيثار حتى بالنفس والأهل، وفيه جواز نظر الرجل إلى المرأة عند إرادة تزويجها، وجواز المواعدة بطلاق المرأة، وسقوط الغيرة في مثل ذلك، وتنزُّه الرجل عما يُبذل له من مثل ذلك، وترجيح الاكتساب بنفسه بتجارة أو صناعة، وفيه مباشرة الكبار التجارة بأنفسهم مع وجود من يكفيهم ذلك من وكيل وغيره، وقد خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه تاجرًا إلى بُصري في عهد النبي ﷺ ما منع أبا بكر حبُّه لملازمة النبي ﷺ ولا منع النبي ﷺ حبه لقرب أبي بكر عن ذلك لمحبتهم في التجارة، فهل يسهل الناس الزواج وقاية للشباب من الانحراف؟ وهل يسعى أهل البطالة الذين لا يرون الرزق إلا في الوظيفة فيسعون لتحصيل رزقهم بالتجارة؟

كراهية العزوف عن الزواج (التبتل)

المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة، وأما المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل]، فقد فسره مجاهد فقال: أخلص له إخلاصًا، وهو تفسير معنى، وإلا فأصل التبتل الانقطاع، والمعنى: انقطع إليه انقطاعًا، لكن لما كانت حقيقة الانقطاع إلى الله إنما تقع بإخلاص العبادة له فسرها بذلك، ولذلك قيل: مريم البتول

لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة، وقيل لفاطمة: البتول، إما لانقطاعها عن الأزواج غير علي، أو لانقطاعها عن نُظرائها في الحسن والشرف، ويكره كذلك الخصاء وهو نزع الخصيتين أو تعطيلهما، وقد ورد النص بتحريمه كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي ؟ فنهانا عن ذلك. [البخاري وغيره].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء - كأنه يستأذن في الاختصاء - قال: فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ؛ جَفَّ القلم بما أنت لاقٍ فاختصِ على ذلك أو ذر». رواه البخاري.

والحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية.

قال ابن حجر: وقوله: فنهانا عن ذلك ؛ هو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم ؛ لما تقدم، وفيه أيضًا من المفاسد تعذيب النفس والتشويه، مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولة وتغيير خلق الله وكفر النعمة ؛ لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة، فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال.

قال القرطبي: الخصاء في غير بني آدم ممنوع في الحيوان إلا لمنفعة حاصلة في ذلك ؛ كتطييب اللحم، أو قطع ضرر عنه.

وقال النووي: يحرم خصاء الحيوان غير المأكول مطلقًا، وأما المأكول فيجوز صغيره دون كبيره، وما أظنه يدفع ما ذكره القرطبي من إباحة ذلك في الحيوان الكبير عند إزالة الضرر.

قول أبي هريرة: ولا أجد ما أتزوج النساء فسكت عني كذا وقع، وفي رواية حرملة: ولا أجد ما أتزوج النساء فائذن لي اختصي. قوله: «فاختص على ذلك أو ذر»، وليس الأمر فيه لطلب الفعل بل هو للتهديد، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وفيه أن القدر إذا نفذ لا تنفع الحيل، وفيه مشروعية شكوى الشخص ما يقع له للكبير ولو كان مما يُستهجن ويُستقبح، وفيه إشارة إلى أن من لم يجد الصداق لا يتعرض للتزويج، وفيه جواز تكرار الشكوى إلى ثلاث، والجواب لمن يقنع بالسكوت، وجواز السكوت عن الجواب لمن يُظن به أنه يفهم المراد من مجرد السكوت، وفيه استحباب أن يقدِّم طالب الحاجة بين يدي حاجته عذره في السؤال.

ويؤخذ منه أنه مهما أمكن المكلف فعل شيء من الأسباب المشروعة لا يتوكل إلا بعد عملها لئلا يخالف الحكمة، فإذا لم يقدر عليه وطَّن نفسه على الرضا بما قدره عليه مولاه، ولا يتكلف من الأسباب ما لا طاقة له به، وفيه أن الأسباب إذا لم تصادف القدر لا تُجدي.

فإن قيل: لمَ لَمْ يؤمر أبو هريرة بالصيام لكسر شهوته كما أُمِر غيره ؟ فالجواب: أن أبا هريرة كان الغالب من حاله ملازمة الصيام ؛ لأنه كان من أهل الصفة، ويحتمل أن يكون أبو هريرة سمع: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج». الحديث. لكنه إنما سأل عن ذلك في حال الغزو كما وقع لابن مسعود وكانوا في حال الغزو يؤثرون الفطر على الصيام للتقوي على القتال فأداه اجتهاده إلى حسم مادة الشهوة بالاختصاء.

نكاح الأبكار

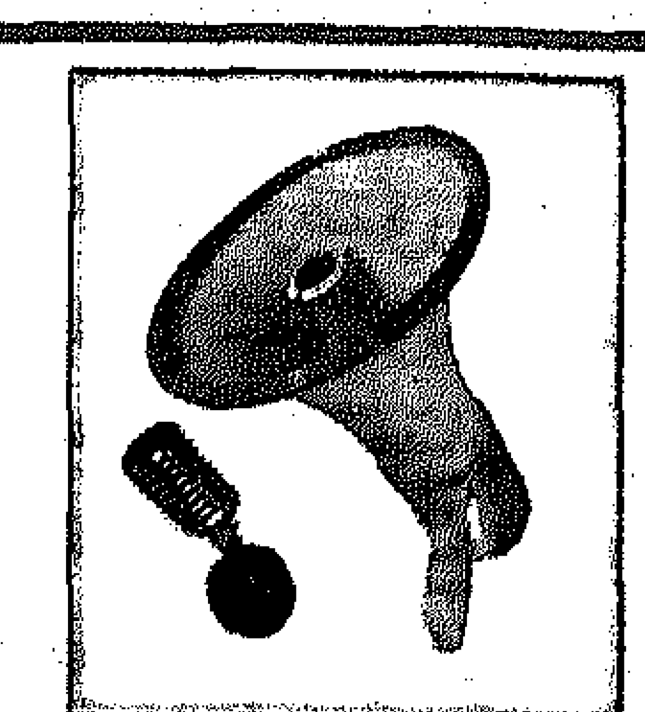
الأبكار: جمع بكر، وهي التي لم توطأ واستمرت على حالتها الأولى.

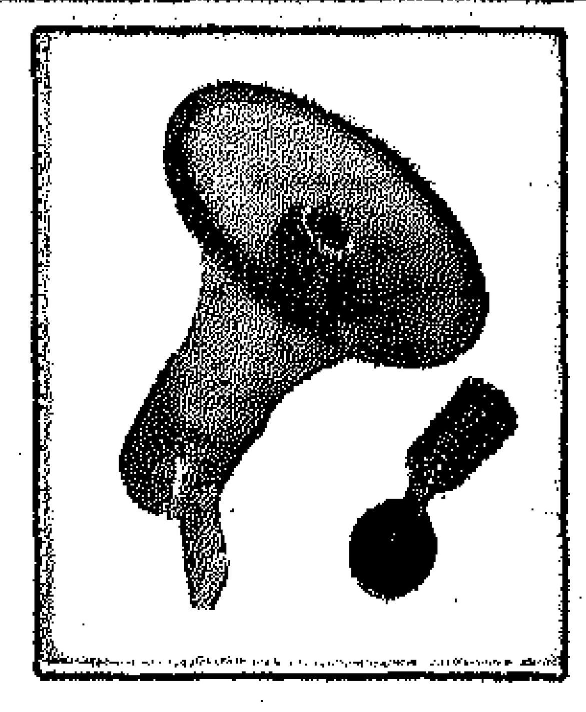
قال ابن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها: لم ينكح النبي ﷺ بكرًا غيرك، وتعبر عائشة رضي الله عنها عن ذلك وتفتخر بأسلوب أدبي رفيع، وحياء جم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيِّها كنت تُرتِع بعيرك ؟ قال: «في التي لم يُرتع منها». تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها.

قولها: ترتع بضم أوله، أرتع بعيره إذا تركه يرعى ما شاء، ورتع البعير في المرعى إذا أكل ما شاء. وفي الحديث مشروعية ضرب المثل وتشبيه شيء موصوف بصفة بمثله مسلوب الصفة، وفيه بلاغة عائشة وحسن تأتيها في الأمور، وحسن عشرة الرسول ﷺ معها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.





تحذير الداعية من القصص الواهية
الحلقة التاسعة والتسعون

قصة «علي رضي الله عنه وصلاة حفظ القرآن»

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، واغتر كثير من الناس بها، وعند التطبيق لا يتحقق لهم ما في هذه القصة الواهية، فيصابون بالشك في السنة أو في أنفسهم؛ لوجود هذه القصة في بعض كُتب السنة، كما سنبين من التخريج والتحقيق الذي نقدمه للقارئ الكريم.

أولاً: المتن

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما نحن عند رسول الله إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: بأبي أنت، تفلّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه، فقال له رسول الله : «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويُثبت ما تعلمت في صدرك؟» قال: أجل يا رسول الله فعلِّمني، قال:

«إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مُستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه: «سوف أستغفر لكم ربي». يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها، فصلِّ أربع ركعات، تقرأ في الركعة الأولى بـ «فاتحة الكتاب» وسورة «يس»، وفي الركعة الثانية: «بفاتحة الكتاب» و«حم الدخان»، وفي الركعة الثالثة: بـ «فاتحة الكتاب»، و«ألم تنزيل السجدة»، وفي الركعة الرابعة بـ «فاتحة الكتاب»، و«تبارك المفصل»، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله، وأحسن الثناء على الله، وصلِّ عليّ وأحْسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك:

«اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنورِّ بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تستعمل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

يا أبا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جمع، أو خمسًا، أو سبعًا، تُجاب بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث عليٌّ إلا خمسًا

أو سبعًا حتى جاء رسولَ الله في مثل ذلك المجلس فقال: يا رسول الله، إني كنت فيما خلا لا أخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تَفَلَّتْنَ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تَفَلَّتَ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث، فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفًا، فقال رسول الله عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن».

ثانيًا: التخريج

أخرجه الترمذي في «السنن» (٥ / ٥٢٦- شاكر) ح(٣٥٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٣١٦، ٣١٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ١٣٨) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي عن الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ...» القصة.

ثالثًا: التحقيق

١- هذه القصة واهية، حديثها موضوع، أوردها الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات»، والمتهم به الوليد بن مسلم، وتدليسه تدليس التسوية، حيث أشار إليه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ١٣٨) فقال: «أما الوليد فقال علماء النقل: كان يروي عن الأوزاعي أحاديث هي عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع والزهري فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي عنهم».

٢- وتدليس التسوية الذي اشتهر به الوليد بن مسلم شر أنواع التدليس، ولكي يستبين للقارئ هذا الشر، فلا بد أن نبين صورته:

قال الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٢٢٧): «وممن كان يفعله الوليد بن مسلم، وصورته: أن يروي المدلس حديثًا عن شيخ ثقة بسند فيه راوٍ ضعيف، فيحذفه المدلس من بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر، ولم يذكر أولهما بالتدليس، ويأتي بلفظ محتمل فيستوي الإسناد كله ثقات، ويصرح المدلس بالاتصال عن شيخه؛ لأنه قد سمعه منه، فلا يظهر في الإسناد ما يقتضي رده إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل، ويصير الإسناد عاليًا وهو في الحقيقة نازل، وهو مذموم جدًا لما فيه من مزيد الغش والتغطية». اهـ.

قُلْتُ: وبهذا يتبين أن تدليس التسوية هو: رواية الراوي عن شيخه، ثم إسقاط راوٍ ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر، وصورة ذلك: أن يروي الراوي حديثًا عن شيخ ثقة، وذلك الثقة يرويه عن ضعيف عن ثقة، ويكون الثقتان قد لقي أحدهما الآخر، فيأتي المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول، فيسقط الضعيف الذي في السند، ويجعل الإسناد عن شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل، فيُسوّي الإسناد كله ثقات، وهذا النوع من التدليس شر أنواع التدليس؛ لأن الثقة الأول قد لا يكون معروفًا بالتدليس، ويجده الواقف على السند كذلك بعد التسوية قد رواه عن ثقة آخر، فيحكم له بالصحة، وفيه غرر شديد.

٣- لذلك أورد هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية، الشيخ الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٧/ ٣٨٢) (ح٣٣٧٤)، وقال: «هذا حديث منكر»، وأورده في «ضعيف الترغيب» (ح٨٧٤)، وقال: «موضوع». ثم بيّن القاعدة في التسوية بعد أن بيّن أن الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية، نقلاً عن الحافظ ابن حجر، ثم بيّن أن الوليد بن مسلم إذا صرح بالتحديث عن ابن جريج لا يغني ولا يسمن في تدليس التسوية، حيث قال الألباني رحمه الله:

«فيه قصور لا يخفى، فالصواب اشتراط تصريحه بالتحديث في شيخه وسائر الرواة الذين فوقه، لنأمن بذلك من شر تدليسه تدليس التسوية، ولولا ذلك لكان إسناد هذا الحديث صحيحًا، لكون الوليد قال فيه: حدثنا ابن جريج كما رأيت، فلما لم يتابع التصريح بالتحديث فوق ذلك قامت العلة في الحديث؛ لاحتمال أن يكون بين ابن جريج وعطاء وعكرمة أحد الضعفاء، فدلّس الوليد، كما في الأمثلة التي رواها الهيثم بن خارجة - رحمه الله تعالى».

٤- قال الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ٢٢٧):

«وأما القدماء فسموه تجويدًا، حيث قالوا: جوّده فلان».

قُلْتُ: هكذا كان يسمى تدليس التسوية تجويدًا، حيث يجوّد الإسناد بإسقاط المجروحين وضم القوي إلى القوي تلبيسًا على من يحدث، وغرورًا لمن يأخذ عنه فتأتي الحيرة من هذا التجويد، حتى قال الإمام الذهبي في «التلخيص» (١ / ٣١٧- مستدرك): «هذا حديث منكر شاذ أخاف ألا يكون موضوعًا وقد حيرني والله جودة سنده».

قُلْتُ: ثم قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/

٣٤٧) ترجمة (٩٤٠٥): «الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي: من أنكر ما أتى حديث حفظ القرآن».

رابعًا: طريق آخر

أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٥٧٩)، ونبين للقارئ الكريم هذا الطريق، حيث قال ابن السني: «أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم ومحمد بن حريم بن مروان قالا: حدثنا هشام بن عمار، ثنا محمد بن إبراهيم القرشي، ثنا أبو صالح، ثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله، القرآن يَتَفَلَّتُ من صدري، فقال النبي : «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهن ؟ » قال: نعم، بأبي أنت وأمي، فقال: «صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه، وصلِّ على النبيين واستغفر للمؤمنين وقل: «اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، وأسألك أن تنور بكتابك بصري، وتطلق به لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك، وتعينني عليه، فإنه لا يعين على الخير غيرك، ولا يوفق لذلك إلا أنت، تفعل ذلك ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا تجاب بإذن الله عز وجل، وما أخطأت مؤمنًا قط، فأتى رسول الله بعد ذلك لسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن، فقال النبي : «مؤمن ورب الكعبة، علم أبا حسن».

وأخرج هذا الحديث الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ١٨٣) فقال:

«أنبأنا ظفر بن علي الهمداني، أنبأنا أبو منصور محمود بن محمد بن إسماعيل الصرفي، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن إبراهيم القرشي، حدثنا أبو صالح عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال عليٌّ: يا رسول الله، إن القرآن يتفلت من صدري...» القصة.

قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك».

قُلْتُ: قال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله في تحقيقه لـ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص٤٢) كتاب «الصلاة» (ح٨٥): «ذكره ابن الجوزي وقال: محمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح إسحاق بن نجيح متروك، فتحصل من هذا: أن هشام بن عمار قد روى الخبر لكن بهذا الإسناد التالف».

قُلْتُ: وأورد هذا الحديث أيضًا الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٧ / ٣٨٧) من هذا الطريق، وعزاه لابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والطبراني في «المعجم الكبير»، والعقيلي في «الضعفاء»، وأعله بأبي صالح وقال: «وأبو صالح هو إسحاق بن نجيح الملطي، وهو وضاع دجال».

قُلْتُ: وبيان هذا الوضع بيّنه الإمام الذهبي في «الميزان» (١ / ٢٠٠) ترجمة (٧٩٥) حيث قال: «إسحاق بن نجيح الملطي، وكنيته أبو صالح.


قال أحمد: هو من أكذب الناس، وقال يحيى: معروف بالكذب ووضع الحديث، وقال يعقوب الفسوي: لا يكتب حديثه، وقال النسائي والدارقطني: متروك، وقال الفلاس: كان يضع الحديث صراحًا». اهـ.

قلت: وهذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

وبهذا التحقيق تصبح القصة واهية لما فيها من تدليس تسوية وهو من أشر أنواع التدليس،وبما فيها من كذابين، كما بيّنا من التحقيق.

ومن أراد أن ييسر الله له حفظ القرآن الكريم، وتيسير العمل به، فعليه بتقوى الله ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن كان السيف والصاروخ قد رحلا عن بلاد المسلمين، فإن الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن دينهم، وما يتصل به من عقيدة وسلوك وأخلاق هو السلاح الذي حل محلهما في معظم ديار المسلمين.

ويتصف ذلك الغزو الجديد بالنعومة وبراعة العرض وخلابة المنطق، وشدة الجدل ولدادة الخصومة وتحريف الكلم عن مواضعه، كما يتصف بالشمول، فهي حرب لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى الإنسانية جميعا، وقد تسبق حرب السلاح أو تواكبها، ثم تستمر بعدها لتحقق ما عجز السلاح عن تحقيقه فتحرك المستعمر بلا إرادة وعزيمة حتى يتلاشى ويستكين وينصهر في بوتقة العدو ويفخر بتبعيته لعدوه ويراها شرفا وفخرا فيكون كالضحية التي تحتفي بالجزار، وهي لا تدري أن نهايتها على يديه.

ولأن الأعداء علموا أن الإسلام هو مصدر القوة والثبات الذي يجمع الأمة بعد التفرق ويغذيها بروح الجهاد ويربيها على هوية متميزة، ترفض الخضوع لغيرها وتحرص على أن تكون نسيجا متميزا يقود ولا يُقاد، ولا يرضى بالدنية أو التبعية، كان الهدف الأسمى لأعداء الدين هو إبعاد المسلمين عن دينهم بكل الوسائل، لأن ذلك يجردهم من مصدر قوتهم وسبيل سعادتهم، فيسهل الغزو العسكري وهزيمتهم عند ذلك، وإليك أخي القارئ نماذج من أقوال بعض المستشرقين التي تؤكد ما نقول:

يقول جلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا -السابق-: «ما دام القرآن في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان».

ويقول المستشرق جارونر: «إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا». اهـ.

ويقول لورنس براون: «إن الإسلام هو الجدار

الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي».

ويقول صموئيل زويمر للمبشرين: «إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها».

وتدرج هذا الغزو في نشأته، فبدأ في صورة استشراق، ثم تبشير، ثم انتقل إلى أساليب متعددة لتغريب المجتمعات الإسلامية تارة بالمكر والخديعة، وتارة بالقهر والإجبار، وحشد لهذا الهدف كتابًا وزعماءَ ودعاة ضلالة لترويجها في أوساط المسلمين، ثم زرعوا أتباعهم الذين تربوا على موائدهم وتغدوا من عصاراتهم في بلاد المسلمين، وجعلوهم في مقام القيادة والقدوة للأمة، وأضفوا عليهم ألقاب الزعامة، فانخدع بهم العوام.

ونبدأ أولاً بالاستشراق الذي يعني «الدراسات الفكرية عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته، وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته».

أما المستشرقون فهم الكفار الذين قاموا بدارسة الدين الإسلامي وأحوال المشرق الإسلامي من كافة النواحي، وكان هدفهم الغالب في ذلك إحلال الكفر والعادات الغربية في ديار المسلمين بدلاً من الإسلام وعلومه.

ونشأة الاستشراق بدأت منذ غزوتي مؤتة وتبوك، وذلك بالاحتكاك بين المسلمين والأوروبيين، ثم اتخذ شكلاً أوسع وأعمق من خلال الحروب المتتالية، لا سيما الحملات الصليبية، ثم أخذ صورة الاختلاط العلمي في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية بالأندلس المصحوب بترجمة العلوم التي برع فيها المسلمون.

ولم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل المبشرين، بل كانت مهمتهم واحدة، ويمكن القول إن المستشرقين كانوا طلائع للمبشرين يمهدون الطريق لهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم وصرفهم عن دينهم ودعوتهم للنصرانية.

وللدور الذي يمارسه الاستشراق في محاولة إطفاء نور الله عز وجل «الإسلام» شارك اليهود أهل الفساد في الأرض في ذلك الميدان لتحقيق أهداف اليهود العالمية.

ومن أشهر الشبهات التي روج لها المستشرقون:

١- التشكيك في صحة العقيدة الإسلامية، وكون الإسلام منزلاً من عند الله تعالى.

٢- التشكيك في تلقي الرسول ﷺ وحيًا من عند الله.

٣- تشويه صورة الرسول ﷺ بالغمز والتجريح لشخصه الكريم ﷺ.

٤- تشويه صورة رجال الإسلام الأوائل، وإثارة الشكوك حول أفعالهم وأقوالهم.

٥- تشويه صورة التاريخ الإسلامي.

٦- نشر فرية أن الإسلام انتشر بالسيف.

٧- الإيمان بأن الإسلام أصبح شيئًا من تراث الماضي البعيد، وقد انقضى دوره في الحياة المعاصرة.

٨- القول بأن الإسلام دين رجعي جامد متأخر لا يصلح لزمننا ولا يساير الحياة الحديثة.

٩- تمييع فهم الإسلام وإبعاده عن الحكم، وادعاء أن الإسلام لا يضره أن يكون الحكم بغير ما جاء به.

١٠- الإلحاح على فكرة أن المسلمين إن أرادوا التقدم فعليهم نبذ تعاليم الإسلام والأخذ بالحضارة الغربية بأكملها.

وكان للاستشراق آثاره على بلاد المسلمين، وكان منها على سبيل المثال:

١- صرف المسلمين عن الجهاد في سبيل الله ودفعهم إلى التصوف الذي فرغ الإسلام من ذروة سنامه.

٢- مدح المذاهب الهدامة المخالفة للإسلام وتصوير أصحابها بالقادة والمصلحين.

٣- الطعن في مراجع الدين وموروث الأمة الإسلامية من سلفها الصالح.

٤- تعظيم النظرة للمستشرقين باعتبارهم من الباحثين أصحاب المنهج العلمي في النقد والتحليل.

٥- إخضاع النصوص الشرعية لأهواء الرجال وآرائهم.

٦- بلبلة الأفكار وتشويه صورة الإسلام في عقول الكثير.

ولأجل تحقيق ذلك كان للمستشرقين أتباع من أبناء المسلمين يرددون مفترياتهم ويروجون لها، ومن هؤلاء الأبناء المخلصين للاستشراق على سبيل المثال:

طه حسين، وعلي حسن عبد القادر، وسلامة موسى، وزكي نجيب محمود، وعلي عبد الرازق، ومحمود عزمي، وغيرهم.

فختامًا أخي القارئ؛ ليس الاستشراق حديث العهد، بل ردد المشركون من قبلهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾، ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾، ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

والله من وراء القصد.

بر الوالدين خُلُقُ الأنبياء

الحمدُ لله، أمَرَ ألا نعبدَ إلا إيَّاهُ، وبالوالدين إحسانًا، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد، أما بعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن جزاء عقوق الوالدين، وموعدنا في هذا العدد عن جزاء البرِّ بهما، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ عبده الأقرع

برُّ الوالدين: مَنهجُ الأنبياءِ والمرسلينَ، وعملُ الكرام والصالحين، يقول الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، ويقول تعالى عن نبيه يحيى بن زكريا - عليهما السلام -: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، والدُّعاءُ لهما - دأبُ المؤمنينَ المتقين، قال الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وقال عن خليله إبراهيم - عليه السلام -: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال عن نبيه سليمان - عليه السلام -: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

وقال تعالى عن الذي بلغ أشده: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]. وبر الوالدين وصية الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثلاثًا، إن اللهَ يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب». [صحيح الأدب المفرد: ٤٤].

وفي مشكاة النُّبوة يأتي برُّ الوالدين قرينًا للصلاة عمودِ الإسلام، ومُتقدِّمًا على الجهاد ذروةِ سنامِ الإسلام، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قُلْتُ: ثم أيّ، قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أيّ، قال: «الجهاد في سبيل الله». [متفق عليه].

ويشهد لذلك - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال ﷺ: «أحَيٌّ وَالداكَ؟» قال: نَعَمْ، قال: «ففيهما فجاهد». [متفق عليه].

بر الوالدين من أسباب سعة الرزق

قال ﷺ: «مَن سره أن يُمد له في عمره، ويُزاد في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه». [صحيح الترغيب: ٢٤٨٩].

وهو من أسباب طول العمر. قال ﷺ: «لا يَرُدُّ القَضَاءَ إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البر». [صحيح الترغيب: ٢٤٨٩].

كما أن بر الوالدين من أسباب رضى الرَّب سبحانه؛ قال ﷺ: «رِضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما». [صحيح الجامع: ٣٥٠٧].

بر الوالدين من أسباب مغفرة الذنوب

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ، فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة ؟ فقال: هل لك من أمّ؟ قال: لا، قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال فبرها. [صحيح الترغيب: ٢٥٠٤].

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

أتاهُ رجلٌ فقال: إني خطبتُ امرأةً فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبتْ أن تنكحه فَغِرت عليها فقتلتها؟ فهل لي من توبة؟ قال: أمُك حيَّةٌ؟ قال: لا. قال: تُبْ إلى الله عز وجل وتقرب إليه ما استطعت، قال عطاء: فذهبتُ فسألت ابن عباس: لِمَ سألتهُ عن حياة أمه، فقال: إني لا أعلمُ عملاً أقربَ إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة. [صحيح الأدب المفرد، والصحيحة: ٢٧٩٩].

بر الوالدين من أسباب إجابة الدعاء

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أُويسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد، ثم من قرن كان به برصٌ، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدةٌ هو بها بَرّ لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل». [رواه مسلم].

الله أكبر، عمر الفاروق الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُّ سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك». رواه مسلم. يطلب من أويس التابعي أن يستغفر له، ومما أوصله إلى هذا بره لأمه.

بر الوالدين من أسباب دخول الجنة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنة فسمعتُ فيها قراءةً، فقلتُ: مَنْ هذا ؟ قالوا: حارثةُ بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر». [صحيح الجامع: ٣٣٧١].

بر الوالدين سبب تفريج الكربات

جاء في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيتُ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدتْ عليهمُ الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكمْ من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجلٌ منهم: «اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلبُ الشجر يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدْتُهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو ولدًا، فلبثتُ - والقدحُ على يدي - أنتظر استيقاظهما حتى بَرِقَ الفجرُ والصبيةُ يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا». متفق عليه. ثم توسل الثاني والثالث: «فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

معنى: «لا أغبق»: لا أقدم في الشراب قبلهما أهلاً. ومعنى: «أُرِحْ»: أرجع. ومعنى: «يتضاغون»: يصيحون من الجوع.

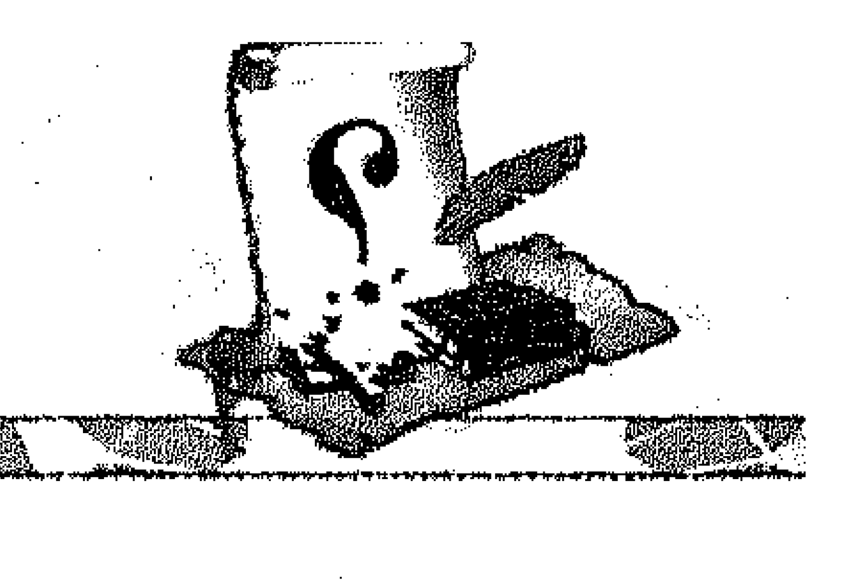
يُفهم من هذا الحديث أنَّ الرجل البارَّ بوالديه كره أن يسبب لوالديه أدنى إزعاج. فمع أن في إيقاظه لهما مصلحة لهما، وهي الشرب من اللبن، إلا أنه نظر في أرجح الأمرين وأفضلهما لهما فرأى أن النوم أنفع لهما من الشراب فتركهما نائمين، ومع هذا ظل طَوالَ الليل قائمًا والقدح على يده ينتظر استيقاظهما. فمن باب أَوْلى لا يجوز لابن أن يقلق والديه وقت الراحة، ولا يُدخل عليهما من الأحزان ما يكون سببًا في إزعاجهما.

وتأمل - رحمك الله - في برِّ الوالد والإحسان إليهما كيف كان سببًا في عطف نبيِّ الله موسى عليه السلام وإحسانه ؟ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤]، والمتأمل في صنيعهما يعجبُ من برِّهما لأبيهما وإحسانهما إليه وخدمتهما له مع أنهما امرأتان، هذا الأمر الذي عجز عنه الكثير من الرجال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى.

وها هم إخوة نبيِّ الله يوسف عليه السلام يتوسلون إليه بشيخوخة أبيهم واستجلابهم عطفه فيقولون: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

فاستيقنوا هذا - رحمكم الله -، فالبرُّ بجميع وجوهه: زيادةٌ في العمر، وكثرةٌ في الرزق، وصلاحٌ في الأبناء، فمن برَّ والديه بَرَّهُ أبناؤُه، والعقوقُ خيبةٌ وخسارةٌ وخذلان. فقوموا - رحمكم الله - بحقوق والديكم والإحسان إليهما، وأطيعوهما بالمعروف، وقدموا لهما غاية البر والرعاية، وامتثلوا أمر ربكم في قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



فتاوى فتاوى فتاوى

- حسن الطالع -

يسأل سائل يقول: هل يجوز أن نقول: من حُسن الطالع أننا التقينا في السفر يوم عيد مثلاً، لأنه اجتمعت فيه فرحتان؛ فرحة العيد وفرحة اللقاء؟

الجواب: لا يجوز أن يُقال مثل هذا ؛ لأن الطالع هو النجم، والنجم لا يملك شيئًا في الحُسن والقبح، ولا يدل طلوعه على خير أو شر، وإنما هو خلق من خلق الله، ولقد أنكر النبي ﷺ نسبة الأفعال إلى النجوم والأنواء في قوله ﷺ : «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». متفق عليه، بل إن الذي يجتمع له أمران من الحُسن في وقت واحد لم يكن متوقعًا حدوث أحدهما أو كليهما ثم يعبر عن ذلك بهذا التعبير «حسن الطالع» لا تجد لهذا التعبير معنى، وقد اجتمع لرسول الله ﷺ أمران من الحُسن في وقت واحد، فلما بلغه قدوم جعفر رضي الله عنه وأصحابه من هجرة الحبشة، وفتح خيبر؛ سَعِد ﷺ بالأمرين معًا وعبرَّ عن سعادته بقوله: «ما أدري بأيهما أنا اشد فرحًا بقدوم جعفر أو بفتح خيبر»، ثم التزم جعفرًا وقبل ما بين عينيه.

- العبادات توقيفية -

يسأل سؤالاً آخر يقول: هل يجوز أن نقول في الدعاء: اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو أنبيائك أو أي أحد من الصحابة والصالحين؟

الجواب: معلوم أن جاه رسول الله ﷺ عظيم، والصحابة يعلمون ذلك، ومع هذا لم يتوسل أحد منهم بجاهه، ولا يجوز الدعاء بجاه رسول الله ﷺ أو أي أحد من الصحابة أو الصالحين، لأن عبادة الله تعالى توقيفية، والدعاء عبادة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتوسل إليه بأسمائه وصفاته، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكذلك يتوسل العبد إلى ربه بتوحيده وبالإيمان به وبالأعمال الصالحات وليس بجاه أحد، ولم يحدث أن توسل رسول الله ﷺ بجاهه أو بجاه من سبقه من الأنبياء والمرسلين، ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه، وعليه يكون التوسل بجاه أحد من الناس وحقه من البدع المحدثة في دين الله سبحانه، ولا يجوز لمسلم فعل ذلك.

- أصحاب اليمين وأصحاب الشمال -

يسأل س. ع.: يقول: هل سيأخذ أحد من المسلمين أصحاب المعاصي والكبائر كتابه بشماله أم أن ذلك خاص بالكافرين؟

الجواب: الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة أن من مات مؤمنًا يتناول كتابه بيمينه ولو كان من أهل الكبائر، ومن مات على الكفر - عياذًا بالله - يتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٨-٩]، وهذا هو المؤمن، ولو كان مرتكبًا للكبائر، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٠-١٤].

فهو ليس مؤمنًا بالآخرة، بل ينفي الرجوع إلى ربه للحساب والجزاء، ولا تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة]، وبين قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ لأنه يؤتاه بشماله ملويةً وراء ظهره، أعاذنا الله تعالى من ذلك.

-الخط على الحصير والسجاد لتسوية الصفوف-

يسأل: أحمد حسن أمين - مصر الجديدة - يقول:

يرفض المسئولون عن المسجد عندنا وضع خط على أرضية المسجد لتساعد المصلين على تسوية صفوفهم وترفع عن الإمام الجهد الذي يبذله لتسوية الصف الأول، وذلك بحجة أن هذا الأمر لم يكن موجودًا على عهد النبي ﷺ، ويعتبر بدعة، أفتونا مأجورين.

الجواب: قد وُجه هذا السؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المكونة من الشيخ عبد العزيز بن باز، رئيسًا، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، نائبًا، والشيخ عبد الله بن غديان، عضوًا، والشيخ عبد الله بن قعود عضوًا، رحمهم الله جميعًا، وكان نص السؤال: ما حكم عمل خط على الحصير أو السجاد بالمسجد نظرًا لأن القبلة منحرفة قليلاً بقصد انتظام الصف؟

قالت اللجنة: لا بأس بذلك، وإن صلوا في مثل ذلك بلا خط فلا بأس، لأن الميل اليسير لا أثر له. (السؤال ١١ من الفتوى رقم ٦٣٩١).

- الاغتسال قبيل شروق الشمس -

يسأل محمد حبشي رشوان - من زفتى غربية- يقول:

استيقظت من نومي صباحًا وأنا جنب، وأردت أن أغتسل فلم يبق على شروق الشمس إلا وقت يسير لا يكفي لأن أغتسل، فهل أتيمم لأدرك الصلاة قبل الشروق، أم أغتسل ثم أصلي بعد الشروق؟

الجواب: عليك الاغتسال من الجنابة ولو أدى ذلك إلى فوات ذلك الوقت اليسير وطلوع الشمس، لأن النبي ﷺ أمر من فاتته الصلاة بنوم أو نسيان أن يصليها حين يذكرها. فقال ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك».

فالمكلف مأمور بالصلاة عند تذكرها وبما يلزم لها من الطهارة، ولا يجوز التيمم في حضور الماء مع القدرة على استعماله.

- العمل في المقاهي -

يسأل: أ. ع. ع. من القاهرة- عابدين- يقول:

أعمل (طباخًا) في مطعم يقدم وجبات وعصائر وشيشة (دخان)، وأنا آكل من محل عملي بدون علم صاحب المطعم، فما حكم ذلك؟ كما أنني أطهي طعامًا لزملائي وآخذ المال منهم بدون علم صاحب المطعم؟

الجواب: العمل في المطاعم التي تقدم الوجبات للناس والعصائر والمشروبات الحلال لا بأس به، ولا يجوز لك أيها السائل أن تقدم للناس شيئًا حراماً من أكل أو شرب أو سجائر وشيشة وغيره، لكن لو كان العمل قاصراً على صناعة الوجبات الغذائية الحلال وإعدادها لرواد المطعم، فلا بأس، ولا يجوز لك أن تأكل من المطعم إلا بما يأذن به صاحب المطعم، وما لم يأذن به فلا يجوز لك أكله، كما لا يجوز لك طهي الطعام لزملائك في المطعم بدون علم صاحب المطعم، فضلاً عن تقاضيك مالاً منهم على ذلك دون علم صاحب المطعم، فهذا حرامٌ بَيِّن.

- مواريث -

س: توفيت امرأة عن:

١- أولاد إخوة لها ذكورًا وإناثًا.

٢- أخواتها من الأب. فما نصيب كل فرد في الميراث؟

الجواب: الأخوات لأب لهن الثلثان ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ﴾، وما بقي فللذكور من أولاد إخواتها، ولا شيء لبنات إخوتها، وإن كانوا أكثر من فرد ذكر فيقسم ما بقي عليهم بالسوية. والله أعلم.

يسأل مصطفى عبد العزيز مصطفى من الحلمية- مركز الحامول - كفر الشيخ - سؤالاً خلاصته:

أن والده توفي وترك زوجة و٤ رجال، و٣ بنات وترك أرضًا ومنزلاً تم بيعه وتجديده من الميراث المشاع، وتم الإنفاق على جميع أفراد الأسرة من الميراث، وتم شراء أرض أخرى من ذلك الميراث وبمساعدة زوجات الرجال أبناء المتوفى، وهو يسأل عن كيفية توزيع الميراث الآن.

والجواب: أولاً: يرد لزوجات الأبناء المال الذي شاركن به في شراء الأرض، إن كان قرضًا يرد كما هو بدون زيادة، وإن لم يكن قرضًا وإنما كان مشاركة وتنمية للمال فيأخذن من الأرض ما يعادل نسبة مشاركتهن بسعر الوقت الحاضر، ثم بعد ذلك تقسم التركة على جميع الورثة؛ للزوجة الثمن في كل ما بقي وفي المنزل المجدد وللبنين والبنات ما بقي للذكر مثل حظ الأنثيين.

س: توفيت امرأة وتركت زوجًا، وأمًا، وجدًا، وأخًا شقيقًا، فكيف توزع التركة بينهم؟

الجواب: للزوج النصف لعدم وجود الفرع الوارث، وللأم الثلث ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، ويبقى السدس فيعطي للجد، لأنه على قول الجمهور، يشترك الجد مع الإخوة الأشقاء ؛ أو لأب للذكر مثل حظ الأنثيين، بشرط ألا يقل الجد عن السدس، ولاستغراق التركة أصحاب الفروض فلا يبقى للأخ الشقيق شيء، والله أعلم.

اتبعوا
ولا تبتدعوا

التآمر الشيعي على الإسلام والمسلمين



إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تحدثت الصحافة في مصر على اختلاف أنواعها محذرة من خطورة المد الشيعي على البلاد، وعلى مصر بالذات، مؤكدة أن مؤامرة كبيرة ومخططًا صفويًا شيعيًا صهيونيًا يتم تجهيزه للمنطقة حتى تتحول البلاد العربية والإسلامية إلى المذهب الشيعي. وذلك بالتعاون بين إيران والعراق وسوريا وحزب الله الرافضي الشيعي في لبنان.

من هنا وجبت اليقظة والتحذير من الشيعة وحزب الله الرافضي خاصة أن كثيرًا من المسلمين ممن لا يعرفون عقيدتهم اغتروا بهؤلاء حتى ظنوهم حماة الإسلام وأنهم يحاربون من أجل نصرة الدين فالتبس الحق بالباطل، واغتر كثيرٌ من الناس بشعاراتهم حتى أدى الأمر ببعضهم إلى تصحيح عقائدهم والإشادة بهم.

ومجلة التوحيد لسان حال الجماعة كانت وما تزال تمثل خط الدفاع الأول الذي يتصدى لكل محاولات الغزو الفكري الذي يشنه أعداء الإسلام على أمتنا من أجل تضليلها وصرفها عن كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ .

وفي هذا المقال نوضح بمشيئة الله تعالى أصول مذهبهم وضلالات منهجهم لنكشف زيف ما اعتقدوه وبطلان ما اعتنقوه، وذلك من خلال كتبهم وما سطروه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

موقف الشيعة الروافض من القرآن الكريم

يعتقد الشيعة الروافض أن القرآن الكريم الذي بأيدي المسلمين اليوم قد وقع فيه التحريف والنقص بأيدي الصحابة رضي الله عنهم، وأن القرآن الكامل كما أنزله الله عند علي بن أبي طالب، ثم ورثه الأئمة من بعده وهو اليوم عند مهديهم المنتظر، يعني لا يوجد قرآن حق في متناول أيدي المسلمين.

وكتابهم «الكافي» مليءٌ بالروايات الدالة على تحريف القرآن الكريم ونقصه كما زعموا ومؤلفه الكليني الملقب عندهم بـ (ثقة الإسلام) كان يعتقد التحريف والنقصان كما قرره الشيعة أنفسهم: «أنه

كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن الكريم، لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لها بالقدح، وقد ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه (تفسير الصافي للفيض الكاشاني المقدمة السادسة ص١٤).

«والكافي» عندهم بمنزلة «صحيح البخاري» عند أهل السنة، لأنهم زعموا: أن الكليني معاصر لوكلاء المهدي المنتظر وسفرائه الأربعة، وبذلك حكموا على أن منابع الكافي وموارده قطعية الاعتبار. (انظر «الوحدة الإسلامية» مقال محمد صالح الحائري الرافضي (ص ٢٢٣).

وتجد هذه العقيدة الباطلة في عدة كتب أخرى معتمدة عندهم مثل:

تفسير القمي، وهو شيخ الكليني، وقد صرح بهذا المعتقد الباطل في أول تفسيره، وملأه من أخباره، وقد زعم أنه لا يذكر فيه إلا مشايخه وثقاته. (انظر المواضع الآتية: ١ / ٢١١، ٣٦٠، ٣٨٠، ٢ / ٢١٧).

وهو تفسير معتمد لدى الشيعة لأمرين:

أن كبار علماء الشيعة يوثقونه كالخوئي القائل: «ولذا نحكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن إبراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين». (معجم رجال الحديث ١ / ٦٣).

معظم التفاسير المتأخرة كـ «تفسير البرهان» لهاشم البحراني، و«تفسير الصافي للفيض الكاشاني تنقل هذه الأباطيل عن تفسير القمي.

تفسير العياشي وهو من كتبهم المعتمدة، فقد قال عنه شيخهم الطوسي: «جليل القدر واسع الأخبار بصير بالروايات». وقال محمد حسين الطباطبائي: «أحسن كتاب ألف قديمًا في بابه، وأوثق ما ورثناه عن قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالمأثور، فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف عام إلى يومنا هذا بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف». (مقدمة تفسير العياشي للطباطبائي).

وقد ألف أحد معاصريهم وهو الرافضي الخبيث المسمي حسين الطبرسي كتابا ملأه بالزندقة سماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وقال في مقدمته ويا عجبًا لما قال «فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه: هذا كتاب لطيف، وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين، وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني به ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وهكذا يعتقد الشيعة أن الطعن في كتاب الله عز وجل قربة يتقربون بها إلى الله عز وجل فأي دين هذا؟!!!

وهذا الكتاب من أوثق ما كتب في الإعلان عن هذه العقيدة الزائفة يدل على ذلك عدة أمور:

لقد طبع الكتاب عام ١٢٩٨ هـ وعليه خاتم الدولة الإيرانية الرسمي.

مؤلفه يعد مرجعًا من مراجعهم، ولما مات وضعوه في أشرف بقعة عندهم في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن من باب القبلة في النجف. (أعلام الشيعة: أغا برزك الطهراني، القسم الثاني من الجزء الأول (ص ٥٥٣).

نصوص التحريف والطعن في الكتاب العزيز كثيرة في كتب الشيعة حتى عدها عالمهم المجلسي متواترة تساوي أخبار الإمامة التي هي لب التشيع وجوهره قال: «وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن أخبار الإمامة». (مرآة العقول ٢ / ٥٣٦).

وقال المفيد: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان». (أوائل المقالات ص٩٨).

وقال محمد المازندراني: «وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها». (شرح جامع الكافي ١١ / ٧٦).

قال الخميني - عليه من الله ما يستحقه - في كتاب «كشف الأسرار ص١١٤: إن تهمة التحريف التي يوجهها المسلمون إلى اليهود والنصارى إنما تثبت على الصحابة.

أقول: لو كان هذا الكلام في كتاب أو كتابين لقلنا كما يقول البعض: هذا الكلام مدسوس على القوم، أما وقد شاع هذا في كتبهم ومراجعهم كلها أو جلها، فلا مجال لادعاء أنها مدسوسة.

وعمومًا نقول لمن يدعون أن هذا الكلام مدسوس عليهم: إيتونا بأي طبعة لهذه الكتب تخلو من أقوالكم هذه.

فهذه هي عقيدة القوم في القرآن الكريم من خلال كتبهم المعتمدة ومصادرهم الموثقة فهل يستطيع الشيعة أن ينكروها أو يستعملوا معها

التقية؟ وما رأي دعاة التقريب فيما ذكرناه هل مايزالوا مصرين على موقفهم وقد رأوا أن أساس الوحدة التي يتباكون عليها قد نسفه الشيعة في اليم نسفا فهل من مجيب ؟!

الإجماع على أن القرآن محفوظ بحفظ الله له

الذي عليه جميع المسلمين من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا،وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي نزل به جبريل الأمين عليه السلام على محمد الأمين ﷺ ، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، وهو كل الموجود بين دفتي المصحف، وأنه لا يتطرق إليه ولا ينبغي أن يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان أبداً.

- فهو محفوظ بحفظ الله تعالى وصيانته من كل هذه الأمور ومن كل الباطل.

هذا هو إجماع المسلمين قاطبة نحو القرآن الكريم، المصدر الأول لتشريعهم، وأن من اعتقد غير ذلك فهو خارج عن جماعة المسلمين، وكافر بالله تعالى الذي أنزل هذا الكتاب ووعد بحفظه وصيانته. [مختصر التحفة الاثنى عشرية].

- وقال القاضي عياض رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول «الحمد لله رب العالمين» إلى آخره «قل أعوذ برب الناس»، أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر... ».

قال ابن حزم - رحمه الله -: «وأما قولهم - يعني النصارى - في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين وهم طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر». [الفصل لابن حزم ٢ / ٢١٣] .

وقال أيضًا : «القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول الله ﷺ».
[الفصل ٥ / ٤٠].

وقال ابن قدامة - رحمه الله -: «لا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر» [لمعة الاعتقاد ص٢٢].

موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم
فهم عند الشيعة أهل ردة إلا قليلاً

لقد امتلأت كتب الشيعة المعتمدة مثل: «الكافي» و «البحار» و «الاختصاص» سبًا وطعنًا ولعنًا وتكفيراً للصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يستثنوا إلا ثلاثة وهم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

وقد وردت روايات عندهم في تعيين هؤلاء الثلاثة:

فعن أبي جعفر (ع) كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة ؟، فقال: «المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم). (شرح الكافي ١٢ / ٣٢١ - ٣٢٢).

تركيز الحملة الشيعية على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

ففي «روضة الكافي» (شرح الكافي) (١٢ / ٣٢٣). «أن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وقال شيخهم نعمة الله الجزائري: «قد وردت في روايات الخاصة: أن الشيطان يغل بسبعين غلا من حديد جهنم، ويساق إلى الحشر، فينظر ويرى رجلاً أمامه يقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلا من أغلال جهنم، فيدنو الشيطان إليه ويقول: ما فعل الشقي حتى زاد عليّ في العذاب وأنا أغويت الخلق وأوردتهم موارد الهلاك ؟ فيقول عمر للشيطان: ما فعلت شيئًا سوى أني غصبت خلافة علي بن أبي طالب». (الأنوار النعمانية ١ / ٨١، ٨٢).

وعقب على هذه الرواية: «والظاهر أنه قد استقل شقاوته ومزيد عذابه ولم يعلم أن كل ما وقع في الدنيا إلى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم هو من فعلته هذه». (الأنوار النعمانية ١ / ٨١، ٨٢).

وقال في أبي بكر رضي الله عنه: «نقل في الأخبار أن الخليفة الأول قد كان مع النبي ﷺ وصنمه الذي كان يعبده زمن الجاهلية معلقًا بخيط في عنقه ساتره بثيابه وكان يسجد، ويقصد أن سجوده لذلك الصنم إلى أن مات النبي ﷺ فأظهروا ما كان في قلوبهم». (المصدر السابق - ٢ / ١١١).

قال إمام الضلالة الخميني في كتابه كشف الأسرار (ص١٢٦): «إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن ومن تلاعب بأحكام الإله وما حللاه وما حرماه من عندهما وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولاده ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين».

ثم أضاف الأفاك الأثيم قائلاً: «إن مثل هؤلاء الحمقى والأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة أو أن يكونوا ضمن

أولي الأمر» (المصدر السابق ص١٢٧).

وقال المجلسي في بحار الأنوار (ج١ ص٢٣٠): «والأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم وما يتضمن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو مجلدات شتى».

هؤلاء الذين يكفرون أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم الصديق والفاروق - يريد من يدعون إلى التقارب أن نتآلف معهم، فكيف نتآلف معهم وهم يفرقون الأمة بتكفير أبي بكر وعمر والصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال أيضًا في كتابه «حق اليقين» (ص٥١٩): (المهدي عند خروجه سيجيء إلى يثرب ويهدم الحجرة النبوية ويخرج أبا بكر وعمر طريين ويأمر بهما تجاه البقيع فيصلبان، ثم ينزلهما ويحييهما ويقتص منهما، ثم يصلبهما ثانية، ثم يحرقهما).

ثم زعم الضال المضل أن أمنا - أم المؤمنين - عائشة رضي الله عنها المبرأة سيحييها الله عز وجل للمهدي فيجلدها ويقيم عليها حد الزنا!!

الطعن في الصحابة طعن في دين الله

ولم ينج من طعنهم أحد من الصحابة، رضي الله عنهم، ومن طعن في صحابة رسول الله ﷺ فقد طعن في دين الله وشرعه؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم شهودنا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: سمعت أبا زرعة يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة». (أخرجه الخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص٤٨)، وهو صحيح).

ومن زعم أنهم ارتدوا فلاشك في كفره وزندقته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره، لأنه مكذب لما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضي عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها: أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق». (الصارم المسلول ص٥٨٦، ٥٨٧).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية.

قال القرطبي: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن انتقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين. [تفسير القرطبي ١٦ / ٢٩٧].

وسأل رجل الفريابي عمن يشتم أبا بكر؟ قال: كافر، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا. وقال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته. [الصارم المسلول ص٥٧٠].

ثالثًا: الشيعة يخلعون على أئمتهم صفات الألوهية

لم تتوقف ضلالات الشيعة عند جعل الأئمة فوق الأنبياء والرسل وأنهم معصومون متميزون في خلقتهم عن بقية البشر، بل وصل جرمهم إلى حد خلعوا فيه على أئمتهم صفات الألوهية فزعموا أنهم يعلمون أعمار الناس وآجالهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، ولا تخفى عليهم خافية، إلى غير ذلك من الطامات التي تَزَلْزَلُ لها قلوب الموحدين.

وفي هذه المسألة بالذات لن نكتب نقولاً عن هؤلاء الضُّلَّال من الشيعة لكثرتها لأن جرمهم وضلالهم تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا، ولكننا سنكتفي فقط ونطلب من القارئ الكريم أن يطالع بنفسه عناوين بعض الأبواب من فهارس الكتب المعتبرة عند الشيعة والتي تمثل الحجة لديهم، ليتعرف القارئ على مصائب القوم وعقائدهم الفاسدة، ونترك له الحكم في النهاية، وإلى البيان:

١ ـ بعض الأبواب من فهرس كتاب أصول

الكافي للكليني ج١:

باب أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل.

باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة.

باب أن الأئمة (ع) إذا شاؤوا أن يعلموا علموا.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

أقول: فماذا إذن ماتوا؟ وهل يحب أحدٌ الموت؟ لماذا لم يختاروا الحياة ليبقى المذهب؟

باب أن الأئمة (ع) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم.

باب أن الله عز وجل لم يُعلم نبيه علمًا إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين (ع) وأنه كان شريكه في العلم.

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

باب أن الأئمة (ع) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (ع).

٢ - بعض الأبواب في فهرس بحار الأنوار لخاتمة المجتهدين محمد باقر المجلسي جـ٢٣ - ٢٧ كتاب الإمامة.

باب: أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد.

باب: أن عندهم جميع علوم الملائكة والأنبياء، وأنهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء، وأن كل إمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله، ولا يبقي الأرض بغير عالم.

باب: أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام.

باب: أحوالهم بعد الموت وأن لحومهم حرام على الأرض وأنهم يرفعون إلى السماء.

باب: أن أسماءهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي واللوح وجباه الملائكة وباب الجنة وغيرها.

باب: أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام.

باب: أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب.

باب: أنهم عليهم السلام لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

غلو الشيعة في قبور أئمتهم

٣ - بعض أبواب من فهرس كتاب (كامل الزيارات) لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قلويه.

الباب (٩١): ما يستحب من طين قبر الحسين عليه السلام وأنه شفاء.

الباب (٩٣): من أين يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام وكيف يؤخذ.

الباب (٩٤): ما يقول الرجل إذا أكل طين قبر الحسين عليه السلام.

«وقد صنَّف شيخهم ابن النعمان، المعروف عندهم بالمفيد - وهو شيخ الموسوي والطوسي - كتابًا سماه: (مناسك المشاهد)!!، جعل قبور المخلوقين تُحج كما تحج الكعبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-:

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين». [١ / ٤٧٤-٤٧٦ منهاج السنة لابن تيمية]

وهكذا يظهر لك أن تأليه الأئمة وتقديس القبور والمشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي، فالشيعة أول من بنى مشاهد على القبور وجعلوها شعارهم.

فهؤلاء هم القوم وهذه عقائدهم أعاذنا الله منها ومنهم، وهم بذلك ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

نداء إلى دعاة التقريب

وفي الختام نقول لدعاة التقريب المتباكين على وحدة الأمة ما رأيكم بعدما قرأتم ما سطر في كتب القوم من ضلالات وانحرافات وشركيات؟ ألا تزالون مصرين على دعوتكم إلى التقريب والوحدة، وأنه لا فرق بين شيعة وسنة، أترضون أن تتحد الأمة على ضلال؟ فترضون بذلك الناس وتسخطون عليكم رب الناس، ما للعقول أين ذهبت وما للتفكير كيف غاب.

إن وحدة الأمة لا تكون إلا في الاعتصام بالكتاب والسنة، يا دعاة التقريب اتقوا الله وكفاكم تزييفًا للحقائق وتضليلاً للأمة، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

والله من وراء القصد.

باب التراجم

الشيخ العلامة/ محمد محيي الدين عبدالحميد

١٣١٨هـ - ١٣٩٢هـ / ١٩٠٠ - ١٩٧٢م

إعداد/ فتحي عثمان

اسمه: محمد محيي الدين عبد الحميد إبراهيم.

والده: الشيخ عبد الحميد إبراهيم، كان من رجال القضاء والفتيا.

مولده: ولد الشيخ محمد محيي الدين يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣١٨هـ الموافق ٢٣ / ٩ / ١٩٠٠م.

تعليمه: درس في معهد دمياط الديني، حيث كان والده قاضيًا بمحكمة فارسكور بدمياط، والتحق بالأزهر الشريف عندما نُقل والده إلى القاهرة ليشغل منصب مفتي وزارة الأوقاف.

– حصل على درجة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٢٥م، وقد ظهرت عليه علامات النبوغ قبل التخرج، فقد أقدم على عمل جاد مثمر؛ وهو شرح مقامات الهمذاني.

– تتلمذ على جيل الرواد من العلماء الكبار، وقد كان أول دفعته، فاختير مدرسًا بالجامع الأزهر، فظهر من دلائل علمه ونبوغه أن تم اختياره بعد خمس سنوات من تخرجه ليشغل وظيفة مدرس بكلية اللغة العربية عام ١٩٣١م، وكان أصغر أعضاء هيئة التدريس بالكلية سنًا.

– اختير سنة ١٩٣٥م لتدريس تخصص المادة لطلبة الدراسات العليا، وقد سمعه الشيخ محمد مصطفى المراغي – شيخ الأزهر في ذلك الوقت – فعهد إليه بإلقاء محاضرات عامة بالجامع الأزهر في المناسبات الدينية.

– كما مثل الأزهر في كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والأدبية.

– وقد رشحته جامعة الأزهر لنيل جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٩٧١م، وقد شمل القرار جانبًا مهمًا من وظائفه التي برز فيها، فقد شغل درجة أستاذ بالأزهر، فأستاذًا بكلية اللغة العربية، فمفتشًا بالمعاهد الدينية، ثم وكيلاً بكلية اللغة العربية، فأستاذًا بكلية أصول الدين، ثم صار عميدًا لكلية اللغة العربية، وعضوًا بمجمع اللغة العربية.

– شغل أيضًا منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، كما كان عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية.

ويذكر تقرير جامعة الأزهر أنه شارك في عام ١٩٤٠م في تأسيس مدرسة الحقوق بالسودان، فقام بمهته خير قيام، حيث كان مضرب المثل في علو المنزلة، وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء.

قال عنه العلامة محمد علي النجار عضو مجمع اللغة العربية: «إنه كالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالمتكلم الذي لا يعرف إلا الكلام، ودلالة ذلك ما ألفه وأخرجه من الكتب في هذا المجال».

قُلْتُ: وتصديقًا لهذا أنه كان يكتب في مجلة الهدي النبوي التي كان يصدرها الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية، وقد كان يكتب بها باب «شرح أحاديث الأحكام».

ثم حالت ظروف العمل عن الاستمرار في الكتابة في هذا الباب، فما كان من الشيخ محمد حامد الفقي إلا أن كتب في مجلة الهدي النبوي عام ١٣٥٨هـ: «إن المجلة لتأسف أشد الأسف أن تحرم من قلم الأستاذ العلامة المحقق محمد محيي الدين المدرس في كلية اللغة العربية بالأزهر، والذي كان قد تعهد بكتابة هذا الباب من المجلة، ولكن كثرة أعمال الأستاذ في الكلية، وفي غير الكلية، من نشر الكتب، وخدمة العلم عاقت الأستاذ عن المثابرة والمواظبة، حى كادت المجلة تضطر إلى الخروج عاطلة عن دور الأستاذ في هذا الباب».

وقد تعددت مواهب الشيخ ومناصبه، ولكنه كان أبي النفس، عزوفًا، فقد ذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا في حفل مجمع اللغة العربية؛ أنه قد طلب من الشيخ محمد محيي الدين أن يقابل مسئولاً معينًا من أجل أن يتولى منصبًا، فقال: «إن المنصب إذا كانت الدولة تعترف أني أهل له فلتسنده إليَّ، وإن لم تكن معترفة بي فلا حاجة لي إلى مقابلة أي

مسئول».

- رشح أكثر من مرة لتولي مشيخة الأزهر، وكان هناك إجماع على أحقيته للمنصب.

- كما رشح لتولي رئاسة جامعات عربية وإسلامية، ولكن ظروفه الصحية حالت دون ذلك.

يقول الدكتور البيومي في كتابه «النهضة الإسلامية في سير أعلامها» بعد أن عدد كتب الشيخ محيي الدين: «فماذا عسى أن يقول المنصف في مجمع كامل قام به فرد واحد!! فأي زمن اتسع ؟ وأي نوم سلب ؟ وأي راحة قضى عليها حتى وقع الرجل على صرحه العلمي الشامخ ليقول للناس: هاؤم اقرؤا كتابيه، وقد قرأ الناس فوجدوا الخير الهاطل، والنفع الجزيل».

قُلْتُ: إن الكلمة في زمن غيرها في زمن آخر، والفعل في مكان غيره في مكان آخر، فمن ذلك أن الشيخ محمد محيي الدين شيخ المحققين قام بتحقيق كتب لابن تيمية وابن القيم، رحمهما الله، في وقت كان الاقتراب من كتبهم يحتاج إلى شجاعة نادرة، وعلم غزير، ويجر وراءه من الأذى الشيء الكثير الذي لا يشعر به ولا يقدره إلا من كابده في الزمن الماضي، حيث كان القول السائد بين أهل الضلال: «ابن تيمية الضال المضل، وحامد الفقي الجاحد الشقي».

ومع ذلك فلم يمنعه شيء من صداقة الشيخ حامد الفقي رحمه الله، بل والسير في جنازته يوم وفاته من عابدين إلى حيث دُفن في صحبة جمع كبير من رجال الأزهر وأهل العلم والفضل آنذاك.

إنتاجه العلمي:

فوق كونه كتب في الأعداد الأخيرة من مجلة مجمع اللغة العربية بمصر صفحات مشرقة، إليك طرفًا من إنتاجه حسب ما يسمح المجال:

شروحه: شرحه للمقدمة الآجرومية، كتاب تنقيح الأزهرية.

- شرحه على قطر الندى لابن هشام، شرحه على شرح شذور الذهب لابن هشام.

شرحه على شرح ابن عقيل، شرحه على أوضح المسالك لابن هشام (٤ أجزاء).

شرحه على المفصل للزمخشري، شرحه على كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، وشرحه على متن التخليص في البلاغة.

تحقيقاته:

أدب الكاتب لابن قتيبة، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، شرح ديوان الحماسة، نهج البلاغة للشريف الرضي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، شرح المعلقات السبع، أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه، شرح ديوان أبي تمام، وفيات الأعيان لابن خلكان، تاريخ الخلفاء للسيوطي، مروج الذهب للمسعودي، سيرة النبي لابن هشام، سنن أبي داود، الترغيب والترهيب للمنذري، شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، الموافقات للسيوطي، المسودة في أصول الفقه لابن تيمية، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، الداء والدواء لابن القيم، مقالات الإسلاميين للأشعري، الفرق بين الفرق للبغدادي، رسالة التوحيد لمحمد عبده.

- وله مؤلفات ودراسات أدبية ولغوية وإسلامية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- دروس التصريف، وهو مرجع للأساتذة والطلبة في كليات اللغة العربية ودار العلوم والآداب.

- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية.

- المعاملات الشرعية. - أصول الفقه.

- الأحوال الشخصية.

وهي كتب كانت تدرس في جامعات الأزهر وكليات الحقوق وفي مدرسة الحقوق العليا في الخرطوم.

وفي الختام: لقد كان الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد جمع العلماء في شخص واحد، فهو نحوي، وفقيه، ومحدث، ومتكلم، ودليل ذلك تنوع مصنفاته وكثرة تآليفه.

فجزاه الله خيرًا، ورحمه بواسع رحمته.

الحلقة الثامنة إعلام المصلين والولاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة الماضية عن إمامة المجنون، ونتكلم اليوم - إن شاء الله - عن إمامة السكران فنقول:

أولا: تعريف السكر

عرفه العلماء بأنه زوال العقل بتناول الخمر، وما يلحق بها بحيث لا يدري السكران بعد إفاقته ما كان قد صدر منه حال سكره، وعرفه آخرون بأنه معنى يزول به العقل عند مباشرة الأسباب المزيلة.

ثانيا: إطلاق المسكر على كل ما يغيب العقل

فكل مسكر خمر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» [أخرجه مسلم].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة». [أخرجه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «كل شراب أسكر فهو حرام». [أخرجه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: فتبين أن كل مسكر حرام، وأيضًا الحشيشة مسكرة فهي بمنزلة غيرها من المسكرات الكثير منها والقليل سواء سكر منها أو لم يسكر، حرام عند جماهير العلماء.

ومن ظن أن الحشيشة لا تسكر وإنما تغيب العقل بلا لذة فلم يعرف حقيقة أمرها، فإنه لولا ما فيها من اللذة لم يتناولوها ولا أكلوها، فالمحققون من الفقهاء علموا أنها مسكرة، وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، وقول النبي ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»، يتناول ما يسكر، ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروبًا أو جامدًا أو مائعًا، فلو اصطبغ كالخمر (الاصطباغ: الائتدام، والأدم - بالضم -: ما يؤكل بالخبز أي شيء كان) كان حرامًا، ولو أماع الحشيشة وشربها كان حرامًا. اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم تحتج بقول النبي ﷺ: «كل مسكر حرام» على تحريم جميع أنواع المسكرات، ما كان موجودًا منها على عهد النبي ﷺ، وما حدث بعد، كما سُئل ابن عباس عن الباذق فقال: «سبق محمد ﷺ الباذق، فما أسكر فهو حرام». [أخرجه البخاري].

يشير إلى أنه إذا كان مسكرًا فقد دخل في هذه الكلمة الجامعة». اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وإن لم تحصل به نشوة ولا طرب فإن تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين». اهـ.

ومن ثَمَّ نعلم أن كل ما يؤدي إلى تغييب العقل فهو حرام سواء كان موجودًا في عهد النبي ﷺ أم لا، فسائر أنواع المخدرات من حشيش وأفيون ومورفين وهيروين وكوكايين والأدوية المخدرة والكُلة، وجوزة الطيب.. إلخ من المسكرات التي يجب الابتعاد عنها وعدم تعاطيها، كما أنه يحرم على المسلم تعاطي

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

المسكرات قليلها وكثيرها أدت إلى إسكاره أم لا، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام». [أخرجه أبو داود وحسنه الألباني].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره».

[أخرجه النسائي وقال عنه الألباني: إسناده جيد].

وقال النسائي عقب ذكر هذا الحديث: «وفي هذا دليل على تحريم السكر قليله وكثيره وليس كما يقول المخادعون لأنفسهم بتحريم آخر الشربة وتحليلهم ما تقدمها الذي يشرب في الفرق (مكيال ضخم لأهل المدينة معروف ويقال: إنه ستة عشر رطلاً) قبلها، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكليته لا يحدث على الشربة الآخرة دون الأولى والثانية بعدها، وبالله التوفيق». اهـ.

ثالثًا: التدرج التشريعي في تحريم الخمر

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاء، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: «ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت هذه الآية: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. قال عمر: انتهينا».

[أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

رابعًا: نوعا السكر

قسم العلماء السكر إلى نوعين هما:

١- السكر بطريق مباح: ويكون إذا شرب المسكر اضطرارًا، أو إكراهًا، أو عن غير علم بكونه مسكرًا أو شرب دواءً فأسكره، ونحو ذلك.

٢- السكر بطريق محظور:

ويكون إذا شرب المسكر مختارًا عالمًا بحرمته غير مكره على تناوله.

خامسًا: المراد من قوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾:

اختلف العلماء في المراد من الصلاة في الآية الكريمة على أقوال:

القول الأول: المراد بها حقيقة الصلاة، وهو مذهب أبي حنيفة ومروي عن علي ومجاهد وقتادة.

القول الثاني: المراد مواضع الصلاة وهي المساجد، وهو مذهب الشافعي ومروي عن ابن مسعود وأنس وابن المسيب.

القول الثالث: المراد الموضع والصلاة معًا.

أدلة القول الأول

١- قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فإنه يدل على أن المراد لا تقربوا نفس الصلاة، إذ المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع منه السكر، أما الصلاة ففيها أقوال مشروعة من قراءة ودعاء وذكر يمنع منها السكر، فكان الحمل على ظاهر اللفظ أولى.

أدلة القول الثاني:

١- قال تعالى: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فسمي مواضع الصلاة صلاة.

٢- أن القرب والبعد أولى أن يكون في المحسوسات فحمله على المسجد أولى.

٣- لأننا إذا حملناه على الصلاة لم يصح الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وإذا قلنا إن المراد به المسجد صح الاستثناء وكان المراد به النهي عن دخول الجنب للمسجد إلا في حالة العبور.

الرد على الأدلة

اعترض أصحاب الرأي الأول على أدلة الرأي الثاني بالآتي:

١- المراد من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ المسافر الذي لا يجد الماء فإنه يتيمم ويصلي.

٢- أن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى فيجب حمل لفظ الصلاة على الصلاة نفسها دون مواضع الصلاة.

٣- النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي، وفي التنزيل خاصة قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢].

٤- يؤيد ما سبق سبب نزول الآية، فقد روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون»، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [صححه الألباني].

فسبب النزول يبين أن النهي عن قربان نفس الصلاة وليس موضع الصلاة. [المساجد].

الرأي الراجح

هو الرأي الأول لقوة أدلتهم ولسلامتها عن المعارض، وإن كان الرأي الثالث الذي جمع بين الرأيين له وجاهته فيحرم على السكران أن يقرب الصلاة وأن يقرب المسجد سواء أكان للصلاة أم لا.

سادسا: حكم إمامة السكران

فرق العلماء بين صلاة السكران بطريق مباح وصلاته بطريق محظور، فقالوا: إن حكم السكران بطريق مباح حكم المغمى عليه، فلا يكون مكلفًا بأداء شيء من حقوق الله تعالى حال سكره وإنما عليه القضاء بعد إفاقته، إن لم يكن في القضاء حرج عليه، وخلاصة القول أن السكران بطريق مباح مرفوع عنه الإثم بخلاف السكران بطريق محظور فإنه يأثم لسكره ويأثم على إتيانه الصلاة وهو سكران: أما حكم إمامة السكران بالنسبة للصحة والبطلان لنفسه وللمأمومين فعلى التفصيل الآتي:

إذا أم سكران لا يعقل

ففرق بين حالتين:

الحالة الأولى: إن كانوا عالمين بسكره فصلاته وصلاتهم باطلة وعليهم الإعادة.

الحالة الثانية: إن كانوا غير عالمين بسكره، كأن ظنوا أنه وقع في خطأ في القراءة فردوه حال خطئه، ثم انتهى من صلاته، فصلاته باطلة وصلاتهم صحيحة ولا إعادة عليهم قياسًا على إمامة المحدث.

وإذا أمهم وقد شرب المسكر ولكنه يعقل:

فإن شرب الخمر وغسل فاه وما أصابه وصلى قبل أن يسكر صحت صلاته والاقتداء به ؛ الدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فالنهي عن إتيان الصلاة حال السكر حتى يعلم الإنسان ما يقول فيها، فإذا صلى قبل أن يسكر وهو عالم لما يقول فصلاته صحيحة، وإن صحت صلاته لنفسه صحت إمامته لغيره، ولكنه يأثم على شربه للخمر، ويقام عليه الحد.

فلو سكر في أثناء الصلاة بطلت صلاته ولزم المأموم مفارقته، ويبني على صلاته، فإن لم يفارقه بطلت صلاته.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.


بادر
أخي المسلم وأختي المسلمة
بالمشاركة بجزء
من مالك ومن الزكوات أو
الصدقات لنشر التوحيد من
خلال المشاركة في الأعمال التالية:
طباعة كتيب يوزع مع مجلة
التوحيد مجاناً تتكلف النسخة
خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة
وتجليدها بجميع أعداد السنة في
مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة
كاملة ٣٦ سنة من المجلة.
دعم مشروع المليون نسخة من مجلة
التوحيد ... نسخة من المجلة لكل
خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر
تصله على عنوانه.
نحن
بانتظاركم
يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد